AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2136) - السنة (50) صفر 1441هـ / 1 أكتوبر 2019م

في ذكرى المؤتمر الشعبي الكويتي

أكتوبر 1990.. تاريخ ودروس

«الائتلافية» تفوز بانتخابات اتحاد طلبة جامعة الكويت للعام الـ41

رحيل المربي والمفكر مصطفى الطحان

أحد أعلام الدعوة الإسلامية

دورات الطاقة..

في ميزان العلم والدين

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

@mugtama www.mugtama.com facebook.com/mugtama @mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

اشترك أو جدد

داخل الكويت: 10 د.ك

الدول العربية: 17 د.ك

الدول الأجنبية: 25 د.ك

المؤسسات والشركات: 30 د.ك

شاملة عمولة التحويل

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك: .....

العنوان: .....

صندوق البريد: ..... الرمز البريدي: .....

تليفون: 0096597228290 - تلفاكس: 0096522560525

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN0000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2136) - (السنة 50)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام 1390 هـ 1970م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

ادخل على موقع «المجتمع»

في هذا العدد

موضوع الغلاف

دورات الطاقة.. في ميزان العلم والدين

- رسالة وفاء.. مبادرة وطنية تعبيراً لمحبة الشعب لأميرهم 6
- المؤتمر الشعبي الكويتي أكتوبر 1990.. تاريخ ودروس 8
- تونس.. هل تعكس الجولة الأولى من الرئاسية النتائج البرلمانية القادمة؟ ... 36
- العدالة والتنمية التركي وأزمته الداخلية 38
- آسام.. قصة شعب يفقد الوطن بين عشية وضحاها 42
- إشكالية العدالة بين الشريعة والقانون الوضعي 46
- رحيل المربي والمفكر مصطفى الطحان أحد أعلام الدعوة الإسلامية 49

مقالات

الإمام البيهقي
د. يوسف السند 35
أذواق الناس لا تعترف بالمنطق الاقتصادي
د. زيد الرماني 41
تقسيم المقسم
د. عصام عبداللطيف الفليج 66

المراسلات

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير
22519539 - 22514180
22513616 (داخلي 205).
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع
تليفاكس: 22560525 (00965)
sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني
www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح
www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر:
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 -1) 5120190
Fax: (90- 1) 5140883

آية العدد

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

(آل عمران)

رأي المجتمع

قصف أرامكو ووحدة الصف الخليجي

تعرضت منشأتان نفطيتان تابعتان لشركة «أرامكو» العملاقة بالمملكة العربية السعودية لهجوم بطائرات من دون طيار، السبت 14 سبتمبر؛ ما أدى إلى اندلاع حريق في معملين للشركة في محافظتي بقيق وهجرة خريص شرقي المملكة.

وقد تبنت مليشيات الحوثي باليمن الهجوم، مشيرة إلى استخدامها 10 طائرات مسيرة، في الوقت الذي اتجهت فيه أصابع الاتهام في كثير من دول العالم إلى مسؤولية إيران المباشرة عن هذا الهجوم الذي يفوق في دقته وخطورته قدرات الحوثيين.

وإزاء هذه التطورات الخطيرة، اتجهت أنظار العالم مترقبة ردود الفعل السعودية، وردود الدول الكبرى، على هذا العدوان السافر الذي يهدد المنطقة كلها، بل والعالم كله؛ نظراً لمحورية الدولتين في المنطقة والعالم؛ وما زالت هذه الأنظار مترقبة.

ولعل هذه الأحداث تحمل رسائل إلى العرب والمسلمين -والخليجيين بصورة خاصة- وهي:

أولاً: أهمية عودة اللحمة والتكاتف وروح الوحدة والأخوّة بين الدول العربية والإسلامية والخليجية شعوباً وحكومات؛ فالخطر واحد، والمصير واحد؛ فالأمر يحتاج إلى موقف واحد، فإذا كان هذا الحدث يأتي في ظروف انقسام خليجي واضح؛ فينبغي أن تلتقط جميع الأطراف الرسالة، وتغلّب جانب الأخوّة والوحدة على التفرق والتشرذم؛ بحيث يعود مجلس التعاون الخليجي أفضل مما كان في ظل تنامي التهديدات والتحديات، وقديماً قال الشاعر العربي:

أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخ لَه
كَساعٍ إلى الهَيجاء بغَير سِلاح

ثانياً: ضرورة إنهاء ملف اليمن، وإجبار مليشيات الحوثي على الارتداع للقوانين الدولية والتزام المواثيق الأممية التي يعود معها اليمن حراً مستقلاً موحداً تحت الحكومة المعترف بها دولياً.

ثالثاً: على الجانب الإيراني الذي يعد شريكاً وجودياً في الطرف الآخر من الخليج أن يعود عن تعدياته المتكررة على جيرانه، وأن يغلّب جانب العقل والحكمة على التهور الذي سيكون وبالاً على الجميع.

إن الوحدة الخليجية هي مفتاح وصمام أمن المنطقة، فلن يحمي البلاد إلا أبناؤها، وقد تجلت الوحدة الخليجية بشكل عالمي عام 1990م أثناء الغزو العراقي الغاشم لدولة الكويت، فاستقبلت دول مجلس التعاون الخليجي المواطنين الكويتيين وكأنهم في بيوتهم، وفتحت دول الخليج أجواءها لتحرير الكويت، وامتزجت دماء الجيش السعودي والقطري في تحرير منطقة الخفجي، ثم امتزجت جميع الجيوش لتحرير الكويت.

تمثل السعودية العمق الإستراتيجي للعالم الإسلامي بشكل عام، ودول الجزيرة العربية بشكل خاص، ونشد على يد سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد لحل الأزمة الخليجية العالقة، وندعو كل الأطراف الخليجية إلى سرعة التجاوب مع هذه المساعي الحميدة.

اللهم احفظ دول الخليج العربي من المكر والدسائس، واحفظ بلاد المسلمين من كل مكر.■

حركة المجتمع في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

رسالة وفاء.. مبادرة وطنية تعبيراً لمحبة الشعب لأميرهم

كتب المحرر المحلي:

أكد عدد من رؤساء الفرق التطوعية الشبابية القائمة على المبادرة الوطنية المتمثلة بتقديم رسالة وفاء لسمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أن هذه المبادرة تعبر عن محبة الشعب لقائدهم الكبير.

وأضاف هؤلاء الشباب الذين وهبوا جزءاً من وقتهم وجهدهم للأعمال التطوعية، في تصريحات لـ«وكالة الأنباء الكويتية» (كونا)، عقب اجتماع تنسيقي لهذه الفرق عقد في مقر الهيئة العامة للشباب، أواخر الشهر الماضي، أن المبادرة التي سيشارك بها مواطنون ومقيمون على حد سواء ستستمر إلى أن تقر أعين أهل الكويت بعودة قائدهم الكبير إلى البلاد.

وقال رئيس فريق «الإسناد والإنقاذ الكويتي» طلال الزمانان: إن الرسالة هي تعبير بسيط عن فرحة المواطنين والمقيمين بنجاح الفحوصات الطبية التي أجراها سمو الأمير أخيراً، وتجسد تطلعهم لعودة سموه إلى أرض الوطن وشعبه سالماً معافى.

وأضاف الزمانان أن الرسالة ستكون متاحة أمام الجميع لوضع التواقيع عليها في سجلات خاصة، عبر جهود الشباب الكويتيين المتطوعين في المجمعات التجارية والجامعات والمدارس وفي أرض المعارض.. وغيرها من أماكن التجمعات.

من جانبها، قالت رئيس فريق «زاجل» التطوعي جنان القناعي: إن فكرة الرسالة جاءت من الشباب الناشطين في عدد من المجاميع الشبابية، وتنبع من حبهم ووفائهم لمقام سمو الأمير ومكانته الكبيرة في قلوب الشعب الكويتي، مشيدة بجهود كل الشباب المتطوعين من مختلف الأعمار لإيصال هذه الرسالة.

ولفتت القناعي إلى أن كل شخص أو مجموعة بإمكانهم أن يجمعوا تواقيعهم في سجل خاص بهم، سواء في مقار أعمالهم، أو دواوينهم، أو حتى على مستوى العائلة والأصدقاء من خلال طباعة الرسالة، ومن ثم توقيعها وصولاً إلى تسليمها لأحد المراكز التابعة للهيئة العامة للشباب في الشامية والجهراء والعارضية والقصور.

بدوره، أكد رئيس فريق «تكاتف» التطوعي ناصر الوليد لـ«كونا»، أن الرسالة تمثل تعبيراً صادقاً عن التفاف الشعب حول قيادته الحكيمة ومحبته لحكامه، وهو أمر جُبل عليه الكويتيون منذ تأسيس البلاد، مشيداً بالدعم اللامحدود الذي تجده المبادرة من مسؤولي الهيئة وفي مقدمتهم مديرها العام عبدالرحمن المطيري.

وأوضح الوليد أن الفرق التطوعية القائمة على هذه المبادرة ستطلقها قريباً على منصات التواصل الاجتماعي المختلفة لإيصالها لأكبر عدد من المواطنين والمقيمين، مؤكداً أن الباب مفتوح لكل شاب يرغب بالعمل في هذه المبادرة التي تجسد تلاحم الشعب مع قيادته الحكيمة.

من جهته، أكد رئيس فريق «الجوالة» ناصر الشمري في تصريح مماثل أنه تم التنسيق مع كل فرق الجوالة والعاملين في الحركة الكشفية في الكويت للبدء في جمع تواقيع منتسبيها، حرصاً من جوالة الكويت على أن يكونوا في مقدمة هذه المبادرة الطيبة.

وكانت فرق شبابية تطوعية كويتية أعلنت قبل أيام إطلاقها مبادرة وطنية، متمثلة بتقديم رسالة وفاء لسمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله.

وتضم الفرق التطوعية التي أطلقت هذه المبادرة فرق الغوص «سنيار»، و«زاجل»، و«نهتم»، و«الإسناد والإنقاذ الكويتي»، و«الجوالة»، و«تكاتف»، إضافة إلى فريق «سحابة أمل».

وتعمل هذه المبادرة التي تحمل رسالة حب ووفاء لقائد العمل الإنساني على جمع أكبر عدد من التواقيع من الشعب الكويتي والمقيمين؛ للتعبير عن أسمى معاني الحب والتقدير والامتنان لمقام سمو الأمير، محملة بأطيب الأمنيات بأن يديم المولى عز وجل على سموه الصحة والعافية.

وقال وقتئذ المدير العام للهيئة العامة للشباب عبدالرحمن المطيري، في بيان صحفي، عقب اجتماعه مع ممثلي الفرق التطوعية: إن هذه المبادرة الوطنية التي تقوم بها الفرق التطوعية الشبابية تلقى كل الدعم والرعاية من الهيئة، مضيفاً أنها محل تقدير باعتبارها صوت الشباب.■

أوراد
Awrad

الشايع
SINCE 1928 منذ
الشـــايـــع للعطـــور
AL SHAYA PERFUMES
الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - البحرين
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E.- QATAR - BAHRAIN
E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com
@alshayaperfumes

الائتلافية تكتسح انتخابات اتحاد طلبة جامعة الكويت للعام الـ41

احتفلت القائمة الائتلافية وتحالفها مع الاتحاد الإسلامي بجامعة الكويت بتحقيق الفوز الحادي والأربعين لها على التوالي في قيادة الاتحاد الوطني لطلبة الكويت فرع الجامعة، في الانتخابات التي أجريت منتصف سبتمبر 2019م، وبينما تقدم أعضاء تحالف الائتلافية والاتحاد الإسلامي بالشكر إلى الجموع الطلابية على ثقتهم المتواصلة، أكدوا أنهم سيبذلون كل ما بوسعهم لتحقيق طموحات زملائهم الطلاب، وتنفيذ ما وعدوا به، والسعي الدؤوب مع الإدارة الجامعية لحل كل ما يواجه الطلبة من مشكلات.

وبالنظر إلى الانتخابات ومقارنة نسبة التصويت بين العام الحالي والعام الماضي، نجد انخفاضاً كبيراً في المشاركة الطلابية؛ حيث أظهرت الأرقام تراجع التصويت بنسبة 30% في مختلف الكليات عن العام الماضي، وقد حصل تحالف الائتلافية والاتحاد الإسلامي على 56.15%، بينما حصلت القائمة المستقلة على 39.52% أما القائمة الإسلامية فقد حصلت على 2.34% وتذيلت قائمة الوسط الديمقراطي القوائم الطلابية وحصلت على 2%.

وبالنظر إلى أرقام القوائم، نجد الائتلافية حصلت على المركز الأول بـ7063 صوتاً، فيما حلت القائمة المستقلة ثانياً بـ4971 صوتاً، أما القائمة الإسلامية فجاءت في المركز الثالث بـ294 صوتاً، وجاءت قائمة الوسط الديمقراطي أخيراً بـ251 صوتاً.

وبمقارنة هذه الأرقام بنظيراتها في آخر ثلاثة أعوام، نجد أن الائتلافية والاتحاد الإسلامي في عام 2015/ 2016م حصلت على 8359 صوتاً، بينما حصلت المستقلة على 5961، وحصلت الإسلامية على 534، وحصلت قائمة الوسط الديمقراطي على 215 صوتاً، وفي عام 2016/ 2017م حصلت القائمة الائتلافية على 8628 صوتاً، فيما حصلت القائمة المستقلة على 5360، أما القائمة الإسلامية فقد حصلت على 480 صوتاً، وحصلت قائمة الوسط الديمقراطي على 242 صوتاً.

وفي عام 2017/ 2018م، حصلت القائمة الائتلافية على 8241 صوتاً، بينما حصلت القائمة المستقلة على 5202 صوت، وحصلت القائمة الإسلامية على 395 صوتاً، فيما حصلت قائمة الوسط الديمقراطي على 225 صوتاً.

وتشير الأرقام إلى أن المشاركين في الانتخابات هذا العام بلغ عددهم الإجمالي 12579 طالباً وطالبة من أصل 38 ألفاً؛ حيث لوحظ أن هناك عزوفاً واضحاً عن المشاركة في الانتخابات، حيث لم يشارك نحو 25 ألف طالب وطالبة.■

المؤتمر الشعبي الكويتي أكتوبر 1990.. تاريخ ودروس

في الرابع عشر من أكتوبر عام 1990م، كان العالم على موعد مع ملحمة شعبية كويتية، عبرت عن رد قوي على عدة أمور، منها طرْح الرئيس الفرنسي السابق «فرانسوا ميتران» مبادرة بإجراء انتخابات بين الكويتيين لاختيار نظام الحكم في الكويت، وكذلك كانت رداً صاعقاً على النظام العراقي السابق بأن الكويتيين متمسكون بنظام حكمهم وبأسرة آل الصباح أسرة حكم، بعد ادعائه بأن ما أقدم عليه من غزو وحشي لدولة الكويت ما هو إلا تلبية لثورة شعبية في الكويت.

كتب ▯ سعد النشوان:

قام مجموعة من رجالات الكويت بعقد المؤتمر الشعبي الكويتي في جدة بالمملكة العربية السعودية بعيد الغزو العراقي الغاشم عام 1990م، وإعلان البيعة لأسرة آل الصباح، والتأكيد على أن ما قاله رئيس النظام العراقي هو كذب وافتراء، وأن الشعب الكويتي ملتف حول قيادته السياسية.

كان الهدف من عقد مؤتمر تحضره القيادة السياسية الكويتية، وأبرز الرموز السياسية والاقتصادية والاجتماعية، دحض إشاعات الرئيس العراقي بأن الكويت فيها خلاف كبير مع القيادة السياسية، خاصة أن البرلمان حينها كان معطلاً، والدستور معلقاً، فأصبح من الضروري أن يكون المشهد الإعلامي والسياسي التوافق بين أسرة الحكم (آل الصباح)، والنخب السياسية والاقتصادية والاجتماعية من جميع أطياف المجتمع الكويتي، وصدور بيان للعالم أجمع بأن الشعب الكويتي متوافق مع قيادته الشرعية.

ومر المؤتمر الشعبي الكويتي في جدة بعدة محطات كادت أن تعصف به؛ بسبب الاختلاف حول من يرأس المؤتمر، ومن يلقي الكلمات، ومحتوى البيان الشعبي، ولله الحمد غلبت الحكمة، حيث كان هناك دور عظيم لعدد من رجالات الكويت في إنقاذ المؤتمر، أبرزهم العم عبدالله العلي المطوع يرحمه الله، الذي نجح في التوفيق بين الطرفين قبل ساعتين فقط من انعقاد المؤتمر.

كلمة الأمل والعهد

وترأس المؤتمر العم عبدالعزيز حمد الصقر يرحمه الله، وشارك في إلقاء الكلمات عدة شخصيات ورموز سياسية؛ حيث عقد تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح يرحمه الله، الذي قال في كلمة وصفت بـ«كلمة الأمل والعهد»: «لقد عاش الكويتيون منذ القدم في أجواء الحرية، والتزموا الشورى، ومارسوا الديمقراطية في إطار دستورنا الذي ارتضيناه، وإذا ما اختلفت اجتهاداتهم بشأن أمر من الأمور المتعلقة بترتيب البيت الكويتي، فإنهم يكونون أشد تلاحماً وإصراراً وتآزراً في مواجهة الأخطار التي تهددهم».

وقال سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء في ذلك الوقت الأمير الوالد الراحل الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح يرحمه الله، في كلمته: «إذا كانت حرية التعبير عن الرأي حقاً تعارف عليه مجتمعنا منذ نشأته، وأكده دستورنا الذي نتمسك به ونحرص عليه، فإنه ليس من الوطنية ولا من حرية الرأي، وخاصة في ظل احتلال العدو لأراضينا ووطننا، أن يسيء أحد إلى وحدتنا الوطنية، أو العمل على تشويه صورة كفاح شعبنا».

وقال عبدالعزيز الصقر يرحمه الله، في كلمة المشاركين: «نحن قادرون بإذن الله وبعزيمتنا أن نعيد للكويت الحرة مجدها وبهاءها»، وأضاف: «إن الاستجابة ليس الهدف أبداً مبايعة آل الصباح؛ ذلك أن الآن مبايعة الكويتيين لهم لم تكن يوماً موضع جدل لتؤكّد، ولا مجال نقض لتجدَّد، ولا ارتبطت بموعد لتمدَّد، بل هي بدأت محبة واتساقاً، واستمرت تعاوناً واتفاقاً، ثم تكرست دستوراً وميثاقاً».

• الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد والشيخ سعد العبدالله (يرحمهما الله) خلال المؤتمر

الشيخ جابر: عاش الكويتيون منذ القدم في أجواء الحرية والتزموا الشورى ومارسوا الديمقراطية في إطار دستورنا الذي ارتضيناه

عُقد بهدف دحض إشاعات الرئيس العراقي بأن الكويت فيها خلاف مع القيادة السياسية

وصدر عن المؤتمر بيان ختامي تضمن عدة محاور، هي:

1 – الإعلان للعالم أجمع زيف وبطلان كافة الادعاءات والمزاعم التي ساقها النظام العراقي تبريراً لجريمة احتلاله دولة الكويت المستقلة، التي تخالف الحقيقة والواقع، ويكذبها التاريخ.

2 – التزام الحكومة الكويتية في الطائف

أكد التمسك بحل القضية الفلسطينية وعدم الخلط بين الشعب الفلسطيني وموقف منظمة التحرير

ندعو وزارة التربية أن تدرّس في الاجتماعيات والتاريخ موضوع المؤتمر الشعبي الكويتي

بعودة الحياة النيابية وفق دستور 1962م.

3 – تمسك الشعب الكويتي بنظام حكم «آل الصباح» الذي اختاره منذ نشأته، وارتضته أجياله المتعاقبة، واعتبارها «بيعة» ثانية لأسرة آل الصباح، وتمسك الشعب الكويتي بالشرعية الكويتية ممثلة بسمو أمير البلاد، وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء، والحكومة الكويتية.

4 – التأكيد على التمسك بحل القضية الفلسطينية، وعدم الخلط ما بين الشعب الفلسطيني المقاوم للاحتلال الصهيوني، وموقف منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها ياسر عرفات بالوقوف إلى جانب النظام المعتدي في بغداد، ولن يؤثر ذلك على تضامننا الثابت مع الشعب الفلسطيني في كفاحه العادل من أجل تحرير وطنه واسترجاع حقوقه المغتصبة.

ومن الجدير بالذكر، أنه تم تلاوة عدة رسائل موجهة للمؤتمر، كان أولها رسالة أ.مصطفى مشهور يرحمه الله، نائب المرشد العام للإخوان المسلمين آنذاك، التي أعلن فيها دعمه للحكومة الشرعية في الكويت، وإدانته للغزو العراقي الغاشم، وكذلك رسالة المرابطين التي نقلها د.إسماعيل الشطي بصفته قادماً من الكويت، وكلمة أطفال الكويت.

الملك فهد واستقبال حار للعم عبدالله المطوع يرحمهما الله

دروس وعبر

لقد كان للمؤتمر الشعبي الكويتي في جدة أهمية كبرى في التاريخ السياسي الكويتي، ويجب أن يكون محفوراً في مخيلة أبناء وبنات الجيل الجديد، لما فيه من قيم، وهذه دعوة لوزارة التربية بأن يكون أحد دروسها في مادة الاجتماعيات للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة، وكذلك لمواد التاريخ في المرحلة الثانوية بعنوان «المؤتمر الشعبي الكويتي».

لقد كان للمؤتمر الشعبي الكويتي الكثير من الدروس والعبر، منها:

1 – مهما حدث من خلاف بين الكويتيين، فإنه ينتهي عندما يصل إلى وجود خطر على الكويت أو أي تهديد للبلاد.

2 – التأكيد على أن الديمقراطية الكويتية متجذرة في الشعب والقيادة باختلاف مواقعها وطرقها؛ فالديمقراطية لا تنحصر فقط في مجلس الأمة، وإن كان دستورياً وجوب وجود المجلس؛ فالديوانية والصحافة ومواقع التواصل الاجتماعي نوع من الديمقراطية التي يجب أن تكون مسؤولة، وتحتاج إلى قانون يكون فيه المزيد من الحريات المنضبطة وفقاً للقانون.

3 – التأكيد على العمق الإسلامي والعربي للكويت حكومة وشعباً، والوقوف مع كل من ظُلم خاصة الإخوة في فلسطين، وأخذ نظرية «لا تزر وازرة وزر أخرى» في التعامل مع القضايا العربية والإسلامية.

4 – يجب استثمار الخبرات الكويتية والحكماء لحل القضايا العالقة بين الكويتيين؛ فشعبنا يقدر كبار السن والحكماء، وهم الأقدر على حل الكثير من المشكلات السياسية والاقتصادية.

5 – الوحدة الوطنية أهم سلاح للدفاع عن الكويت، ويجب استثمار هذه الوحدة في بناء الوطن.■

رئيس قطاع أفريقيا بجمعية الرحمة العالمية د. تركي الحميدي:

رؤيتنا أن نكون المؤسسة الخيرية الأهلية الرائدة الأولى بالعالم العربي

أكد رئيس قطاع أفريقيا في جمعية الرحمة العالمية د. تركي الحميدي أن عمل جمعية الرحمة العالمية في أفريقيا يتميز بأنه عمل ميداني مباشر، يرى ويحلل ويتعاطى مع الوقائع على الأرض، وعن طريق هذا العمل يتم اختيار المشروعات التي تقوم الجمعية على إنشائها.

وأضاف الحميدي، في حوار مع «المجتمع»، أن هناك العديد من المشروعات المتميزة في قطاع أفريقيا، أهمها المجمعات التنموية لرعاية الأيتام.

كتب ▯ المحرر المحلي:

● بداية، نريد أن نتعرف على فلسفة العمل الخيري في جمعية الرحمة العالمية بصفة عامة، وقطاع أفريقيا بصفة خاصة.

– لجمعية الرحمة العالمية فلسفة خاصة في طبيعة عملها، فلديها رؤية ورسالة وأهداف تسعى لتحقيقها من خلال مشروعاتها المختلفة، ولديها ميثاق قيمي للعاملين لديها، ليكون أداء العاملين فيها على بصيرة.

أما الرؤية؛ فهي أن تكون المؤسسة الخيرية الأهلية الرائدة الأولى في العالم العربي، وفق أفضل ممارسات الجودة والأداء المؤسسي، في نمو مواردها المالية والبشرية، وشمولية مشروعاتها كمّاً ونوعاً وانتشاراً، وأما الرسالة؛ فتتمثل في بناء الإنسان والمساهمة في تحسين حياة الشعوب والأقليات، تحقيقاً للتنمية المستدامة، من خلال الأنشطة الخيرية التنموية والإغاثية والشراكات والمبادرات، ولديها خطة عمل إستراتيجية لـ4 سنوات، تسعى لتحقيقها سنوياً بخطط تشغيلية تتضمن أهدافاً عديدة في اتجاهين؛ الأول: رفع كفاءة أداء العاملين في «الرحمة»، والارتقاء بآليات العمل وفقاً لمعايير العمل المؤسسي، والثاني: المشروعات الخيرية التي نخطط لتنفيذها في العديد من البلدان حسب الأولويات التي وضعناها.

● لا شك أن لكل مكان ما يميزه في عمله الخيري، فما أهم ما يميز العمل في أفريقيا؟

– يتميز عمل جمعية الرحمة العالمية في أفريقيا بأنه عمل ميداني مباشر، يرى ويحلل ويتعاطى مع الوقائع على الأرض؛ حتى يتم اختيار المشروعات التي نقوم على إنشائها، وقد قامت الرحمة العالمية ببناء رؤيتها على بناء الإنسان، وطوعت كل مشروعاتها الخيرية والإنسانية لهذا الهدف؛ حيث قامت بإنشاء المستشفيات والمستوصفات والآبار ومشروعات الكسب الحلال (المشروعات الصغيرة) لخدمة التعليم.

● ما أهم مشروعاتكم في قطاع أفريقيا؟

– هناك العديد من المشروعات المتميزة في قطاع أفريقيا، أهمها المجمعات التنموية لرعاية الأيتام، التي تساهم في تغيير مفهوم كفالة الأيتام وطلاب العلم من مجرد إطعام فقط إلى رعاية شاملة وتنمية حقيقية، حيث تتلخص فلسفة الرحمة العالمية في تحصين اليتيم منذ الصغر؛ ليصبح قادراً على الاعتماد على نفسه، ويخرج اليتيم من مجمعات الرحمة ليساهم في تنمية المجتمع.

وتحتوي هذه المجمعات على جملة من المشاريع التنموية الهادفة، منها دار للأيتام، ومدرسة لكل من المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، إضافة إلى مدرسة ثانوية صناعية، ومبنى للخدمات يحتوي على مطبخ وصالة طعام ووحدة غسيل وكي الملابس، إلى جانب خدمات أخرى، من بينها مستشفى متكامل يضم عدداً من العيادات، والصيدلية، إضافة إلى مسجد ومخبز ومحلات تجارية عدة، ويوجد لدينا في أفريقيا 5 مجمعات تنموية، كما تم البدء في مجمع «الرحمة العالمية» في تنزانيا.

يتم اختيار مشروعاتنا بعد عمل ميداني يرى ويحلل ويتعاطى مع الوقائع على الأرض

● ماذا عن المشروعات الصحية في جمعية الرحمة العالمية؟

– العمل الطبي عمل إنساني تقدمه جمعية الرحمة العالمية لمن يحتاجه، كما أن أهم ما يميزها أنها موجودة في الميدان، وتقدم خدمات مميزة لمن لا يقدر على تكاليف العلاج والدواء، وتسعى جمعية الرحمة للوصول إلى كافة المناطق من خلال مشروعاتها الصحية المتنوعة، فتصل إلى المناطق النائية عبر القوافل الطبية التي تقوم على تسييرها من خلال مستشفياتها المتواجدة في المناطق المختلفة، بل تسعى إلى الوصول إلى من يريد العناية الصحية بكل السبل.

ومن أبرز المشروعات الصحية مستشفى مجمع الرحمة في جيبوتي الذي يعد الأفضل، حيث يتم ترحيل الحالات الصعبة له دوماً، وهو الوحيد الذي يحتوي على جهاز للرنين المغناطيسي على مدار 24 ساعة، والمستشفى الدولي في هرجيسا بالصومال، وغيرها من المشروعات الصحية في قطاع أفريقيا.

● حدِّثنا عن مشروعات المياه.

– وضعت جمعية الرحمة العالمية ضمن أهدافها توفير المياه الصالحة للشرب إلى مئات الآلاف، حيث نفذت أكثر من 5450 مشروعاً للمياه خلال عام 2018م في العديد من الدول الأفريقية والآسيوية والعربية والأوروبية، شملت آباراً ارتوازية كبرى، وأخرى سطحية في القرى والمناطق التي تعاني شح المياه وندرتها، وخصوصاً في دول القارتين الأفريقية والآسيوية، كما تم توفير المضخات لرفع المياه والخزانات لحفظها، فضلاً عن توفير برادات المياه في عدد من الدول، خاصة وأن 2.1 مليار شخص في العالم يعيشون دون مياه الشرب النظيفة في المنزل.

كما أن هناك مدرسة من كل 4 مدارس ابتدائية تفتقر إلى خدمة مياه الشرب، إذ يلجأ التلاميذ إلى مصادر المياه غير النظيفة، كما أن هناك أكثر من 700 طفل دون سن الخامسة يموتون يومياً بسبب أمراض الإسهال المرتبطة بالمياه غير الآمنة، وسوء المرافق الصحية، وهناك 700 مليون شخص حول العالم يمكن أن يتعرضون للنزوح بسبب ندرة شديدة في المياه بحلول عام 2030م، وذلك بحسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية.

● ما آلية الصرف على المشروعات؟

– جميع المشاريع يتم إعداد دراسة عنها قبل البدء في التسويق لها، تتضمن التكلفة التقديرية، ودواعي اختيار المكان، ومدى الحاجة، وتحديد مراحل المشروع أثناء التنفيذ، مع تضمين ذلك بالميزانية المقدرة للتشغيل سنوياً، فنحن لا نبني مشروعاً ونتركه، ونبدأ بعد تحليل ومناقشة هذه الدراسة بالتسويق، ثم استقبال المتبرع وتحويله بنكياً، كما يتم متابعة تواريخ البدء والإنجاز المتوقعة، ثم الفعلية، عبر تقارير على فترات زمنية دورية، تتضمن لقطات للمشروع أثناء البناء تنقل للمتبرع حتى الانتهاء، ورصد وتوثيق ذلك فوتوغرافياً أو فيلمياً، ورصد كل ذلك عبر برنامج يتضمن المعلومات والصور والتواريخ والمتابعات، ويمكن للمتبرع زيارة المشروع أثناء أي مرحلة من مراحل تأسيسه في حالة رغبته.

● كيف تميزت الرحمة العالمية حتى تحصل على شهادة «الآيزو»؟

– هناك العديد من عناصر التميز لدى الرحمة العالمية، سواء كانت من الجانب الإداري، أو المالي، أو الإلكتروني، أو التسويق الإلكتروني، أو مجال التنمية والإغاثة؛ فمن ناحية الجانب الإداري فإن الرحمة العالمية لديها خطط إستراتيجية تعمل من خلالها، ولديها هيكل وظيفي، إضافة إلى اللوائح والأنظمة؛ فهناك لائحة لشؤون العاملين، وأخرى للموظف المثالي، وللتوصيف الوظيفي، وللشؤون المالية، وللمشتريات، وضوابط الصرف المالي وسياسات وضوابط التبرع، وسياسات إعلامية، ودليل للتصوير الخيري، وسياسات لاستخدام شبكات الواصل الاجتماعي.

أما من ناحية الإدارة المالية، فهناك تقارير مالية دورية ربع سنوية وسنوية، وإدارة مالية مركزية للإشراف على التحويلات المالية، ونظام آلي لإتمام جميع العمليات المالية، ومدقق مالي داخلي على جميع العمليات، ومدقق مالي خارجي وهو مكتب العيبان والعصيمي وشركاؤهم أرنست وينج، وهو مكتب يقدم تقريراً سنوياً للوزارات المعنية.

أما الجانب الإلكتروني، فيوجد لدينا أول موقع خيري في الكويت يجمع التبرعات «أون لاين»، ولدينا نظام داخلي «cwms»، ولدينا خدمة «حسابي الخيري» التي حصلت على جائزة الشيخ سالم العلي المعلوماتية، وخدمة «بريد الخير»؛ وهي خدمة إلكترونية مميزة تهدف إلى ضمان وصول المراسلات الورقية الخاصة بالمتبرع، وتعتمد على تسجيل البيانات الجيوغرافية الخاصة بموقع تسليم المراسلة مع مستلم المراسلة والتاريخ لحظياً عن طريق تطبيق للهواتف الذكية، وهذه الخدمة حصلت على أفضل مبادرة إلكترونية من مملكة البحرين عام 2016م، بالإضافة إلى أن هناك العديد من الخدمات الإلكترونية الأخرى، ومنها: مركز المعلومات والإحصاء، وخدمة البث الخيري، وخدمة تقريري أون لاين، وخدمة مؤشرات الأداء، وبوابة المكاتب الخارجية، ومركز خدمة المتبرعين.

أما عن التسويق الإلكتروني، فهناك التواصل الاجتماعي، والتحليل الرقمي، والتسويق عبر البريد الإلكتروني ومحركات البحث، والإعلان الرقمي، والتسويق بالمحتوى.

● ماذا عن الشراكة في العمل الخيري والإنساني لدى الرحمة العالمية؟

– أرست جمعية الرحمة العالمية الشراكة في عملها؛ وذلك بهدف التكامل مع المؤسسات الخيرية المناظرة، فلدينا شراكات مع مؤسسات دولية، ومؤسسات مناظرة، وشراكات محلية ومع الفرق التطوعية، وقد أبرمت العديد من الشراكات الدولية؛ مثل الشراكة مع مؤسسة هيئة الإغاثة التركية، وتوقيع خطة عمل لتعاون مشترك مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وشراكة مع الأمم المتحدة و«يونيسف»، وشراكة مع جمعية «يونسكو»، وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة بالمغرب، كما أن لدينا العديد من الشراكات مع مؤسسات مناظرة مثل مؤسسة قطر الخيرية، ومركز الملك سلمان للإغاثة والتنمية، أما الشراكات المحلية؛ فمنها الشراكة مع جمعية العون المباشر، وبيت الزكاة، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وجمعية النجاة الخيرية.■

خلال عام 2018م نفذنا أكثر من 5450 مشروعاً للمياه في المناطق التي تعاني من ندرتها

تزخر دولة الكويت بالكثير من الإشراقات النسائية في شتى المجالات، وهذه الإشراقات مبدعة حقاً؛ حيث حصلت على العديد من الجوائز المحلية والعالمية، واستطاعت أن يكون لها بصمة في مجالات كثيرة، منها التعليم والعمل الخيري والتجاري والعلمي والاختراع.

إشراقتنا لهذا العدد أستاذة ومعلمة كويتية متميزة، حاصلة على عدة جوائز محلية وخليجية وعالمية، وهي الأستاذة نورة الحميدي، التي تعتبر أن مهنة التعليم ليست مهنة عادية، وإنما مهمة نبوية ورسالة خير.

«المجتمع» كان لها هذا الحوار مع الأستاذة نورة للوقوف على بعض القضايا التي تهم العملية التعليمية وعلاقتها بالعمل التطوعي.

المعلمة الكويتية الأستاذة نورة الحميدي لـ«المجتمع»:

التعليم مهنة سامية والعمل التطوعي يزيد من قوة الأداء الوظيفي

حوار ◻ سعد النشوان:

● بداية، ما سر الإبداع الذي تميزت به نورة الحميدي؟

– بداية، أثمن جهودكم، وأشكر لكم اهتمامكم بالتعليم وتسليطكم الضوء على الطاقات الشبابية الكويتية، وخصوصاً المعلمين منهم، وإبراز دورهم الفاعل في المجتمع، وأفتخر بأني من المعلمين الذين توّجوا بالإبداع والتميز، ورفعوا اسم الكويت بالحصول على الجوائز الدولية والمحلية.

لا توجد أسرار في إبداعنا، لكن يوجد إصرار.. إصرار على المضي قدماً في طريق الإتقان والتميز والإحسان في مجال التعليم؛ فكلما كان هناك تركيز على التخصص في مجالات الحياة المتنوعة؛ كان هناك تميز وقدرة أعلى على الإبداع؛ لأن التركيز يعطي إنتاجية أكبر في العمل، وتحقيق التوازن في المجالات التي نعمل عليها يضيف قدرة أعلى على الإنتاج المتميز، كما أن الخروج من منطقة الراحة والتركيز على منطقة الإنتاجية ثمن لتحقيق النجاحات، وما كان هذا النجاح إلا بتوفيق من الله تعالى، ودعاء الوالدين والأشخاص الذين يكرموننا بدعواتهم، ونور القرآن والدعاء سلاحان للمؤمن في ميادين حياته.

● اتخذت التعليم مهنة ورسالة، ما أثر ذلك على عملك؟

– أؤمن بأن التعليم مهنة سامية ورسالة عظيمة، ويقيني بذلك يعطيني من القوة والإرادة والعزيمة والإصرار ما يجعلني أواجه التحديات والعقبات؛ لأحقق الهدف السامي من خلال بناء فرد مواطن صالح منتج مبدع مفكر ملهم يبني وطنه بعلمه وأخلاقه، وأكون المعلم الإنسان الذي يترك جميل الأثر وعميق التأثير في حياة كل متعلم، ليتذكر بأن بصمة واحدة كفيلة بأن تلهمه في حياته ليكون ملهماً هو فيما بعد.

● كيف هو أثر مهنة التعليم في حاضر الأمة ومستقبلها؟

– مهنة التعليم رسالة رفيعة الشأن، عالية المنزلة، تحظى باهتمام الجميع؛ لما لها من تأثير عظيم في حاضر الأمة ومستقبلها، ويتجلّى سمو هذه المهنة ورفعتها في مضمونها الأخلاقي الذي يحدد مسارها المسلكي، ونتائجها التربوية والتعليمية، وعائدها على الفرد، والمجتمع، والإنسانية جميعاً؛ فعندما تأخذ بيد المتعلم على طريق العلم وعلى طريق النور لتوصل فكره عبر مفترق الطرقات إلى الجهات التي تعينه على إعداده للمستقبل، وتمكنه من مهارات القرن الحادي والعشرين؛ لتحقق بذلك الأثر ذا النفع المتعدي لبناء مجتمع معرفي حقيقي، وتكوين شخصيات متوازنة جديرة بالعطاء والتميز في مجالات الحياة المختلفة.

● ما أثر التربية في الصغر على حياة المتعلم المستقبلية؟

– التربية هي بذور تغرس في الذاكرة والقلوب والنفوس، وسيظل نموها أكيداً مع الأيام، وستتأصل جذورها وتؤتي ثمارها؛ لذلك وجب علينا أن نحسن البذر والري والعناية والرعاية، ونتعامل بحذر شديد، ونتعلم كيف نتعامل ونربي ونعلم المتعلمين لنعدهم للمستقبل وللغد وليس للماضي؛ فلذلك وجب علينا مواكبة تكييف معطيات العصر والثورات الصناعية واستشراف المستقبل بما يتناسب مع المتعلمين كل بما يتناسب مع خصائصه ومستوياته وذكائه.

وعبارة «بالعلم والمعرفة تُبنى الأمم» من

أهم وأشهر العبارات التي نسمعها دائماً، وهي في الحقيقة من أصدق العبارات، لذلك أثبتت جميع الأبحاث العلمية والطبية أن جميع الأطفال يتحلون بقدر من الذكاء، لكنه يختلف من طفل لآخر؛ فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكل طفل لديه موهبة خاصة، فعلى الأهل والمدرسة اكتشافها والعمل على تنميتها، وهنا يأتي الدور الكبير الذي يجب على المدرسة أن تقوم به على أكمل وجه.

وعندما يقضي المتعلم جل وقته بالمدرسة -التي تعد المجتمع المصغر من المجتمع الحقيقي الخارجي- يتهيأ للتعامل مع المؤسسات والأفراد والمعارف والأشخاص، ليمثل المواطن الصالح الذي ننشده جميعاً؛ إذ يتعلم القيم ويكتسب المهارات، وتبنى لديه المعرفة، ويكتشف قدراته، ويتم توجيه طاقاته بما يحقق له النجاحات داخل وخارج المدرسة، من خلال الأنشطة والبرامج والمنهاج بشكل عام.

ولا يخفى علينا أنه من خلال المدرسة يتعلم المتعلم العديد من الخبرات التي ربما يحتاج إلى سنوات طويلة حتى يتقنها، ولكن في المدرسة يحصل عليها بطريقة علمية بنائية؛ فدور المُعلم لا يقتصر على شرح المادة العلمية على المتعلمين فحسب، وإنما ينمي مهارات التفكير لديهم، ويكسبهم المهارات الحياتية والعديد من المعونة النفسية والمعرفية التي تحقق للمتعلم تكوين صورة أولية لمستقبله؛ فهو بدوره المعلم الإنسان الذي يهتم بجميع جوانب متعلميه.

● حصلتِ على جوائز عديدة.. كيف انعكست على عملك؟

– حصلت على جائزة سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم للأداء التعليمي المتميز، وحصلت على المركز الأول في جائزة الكويت للتميز والإبداع شبابي في مجال التعليم، وجائزة منجز من وزارة الدولة لشؤون الشباب.

وحقيقةً.. هذه الجوائز تمنحني مسؤولية أعلى في تقديم الأفضل والاستمرار في طريق الإبداع، والتميز المستمر في مجال التعليم، ونشر ثقافة التميز بين المعلمين على المستوى المحلي والدولي، ويجعلني أتعلم أكثر بشكل مضاعف لنضاعف إنتاجيتنا ونجعلها ذات نفع وأثر متعدٍّ؛ لنتشرف دوماً برفع اسم الكويت عالياً.

حصلت على جائزة سمو الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم للأداء التعليمي المتميز

.. والمركز الأول في جائزة الكويت للتميز والإبداع شبابي في مجال التعليم

● برأيك، هل يؤثر العمل التطوعي على حياتك الوظيفية؟

– العمل التطوعي هو أن تعطي من وقتك وعلمك وجهدك ومالك وفكرك وتخطيطك من دون أي مقابل، وهو عمل إضافي على أعمالك الأخرى، وأوقن بأن العمل التطوعي بركة في حياتنا، وواجب إنساني، فهو البركة التي تحل علينا، والنفع الذي نسعد بتقديمه للناس، وتوسعنا في العطاء ونشر الخير بين الناس في العطاء المعرفي، كذلك تدريس اللاجئين ومساعدة الأسر والأطفال داخل وخارج الكويت وافتتاح العديد من المدارس باسم الكويت لإخواننا اللاجئين والمحتاجين في هذا العالم.

حياة واحدة لا تكفينا فقررنا أن نعيشها ألف مرة من خلال العطاء والعمل التطوعي

علينا مواكبة تكييف معطيات العصر والثورات الصناعية واستشراف المستقبل بما يتناسب مع المتعلمين وخصائصهم

ولأن حياة واحدة لا تكفينا، فقررنا أن نعيشها بالعطاء ألف مرة، والعمل التطوعي يعطي لك الفرصة بأن تتعلم مهارات جديدة ومتنوعة تضيف لك القوة في عملك ووظيفتك، وهذا ما أجده فعلياً؛ فالمهارات التي تكتسبها في العمل التطوعي تزيد من قوة أدائك الوظيفي أضعافاً مضاعفة؛ لأنها تجعلك تمارس المهام والمهارات بتطبيقات عملية.

● هل تستطيع المرأة الكويتية أن تبدع رغم ما عليها من مسؤوليات جسيمة؟

– لكل منا هدف عظيم، ولكل هدف ثمن ندفعه من وقتنا واهتماماتنا وعلاقتنا، لنعيد تنظيم وجدولة أولوياتنا بما يتناسب مع تحقيق أهدافنا، وهنا يحدث النضج وبداية طريق التميز، ولا يقتصر تحقيق الأهداف على رجل أو امرأة، ولكن يعتمد على إرادة وقدرة وعزيمة الإنسان.

والمرأة الكويتية امرأة مكافحة مناضلة تصنع التاريخ بإنجازاتها وكفاحها، ليس لأن يذكر اسمها، ولكن لتعطي قيمة مضافة إيجابية وفاعلة لمجتمعها ووطنها، وتحقق أهدافها بكل بسالة وريادة وتميز، وتوازن بين مجالات حياتها، وتعطي دونما تقصير، ونشكر الله أن وفقنا لننال شرف رفعة الكويت.

ونجاح المرأة الكويتية هو نجاح لجميع نساء الكويت.

والإنجازات تبدأ بالمبادرات، وتبدأ المبادرات بتنفيذ الأفكار لتحقق بعد ذلك الإنجازات، وما إنجازاتنا المتميزة إلا قُبلة منا على جبين هذا الوطن.■

البرلماني السابق المهندس مبارك الدويلة لـ«المجتمع»:

مجلس الأمة الحالي مجنيٌّ عليه والحكومة هي الجاني

حوار ▯ سعد النشوان:

أكد عضو مجلس الأمة الكويتي السابق المهندس مبارك الدويلة أن المجلس الحالي له الكثير من الإنجازات القيمة، لكنها غير معروفة للناس؛ بسبب ضعف الدعاية لها، داعياً مكتب المجلس إلى إظهار هذه الإنجازات.

كما ذكر الدويلة، في حوار مع «المجتمع»، أن الحكومة استطاعت أن تحوز أغلبية مريحة في هذا المجلس، ونجحت في أن تضع «إسفيناً» -على حد تعبيره- بين أعضاء المعارضة منذ الجلسة الأولى، وفشلت في تمرير برنامجها، وهو ما يدل على ضعف الحكومة وأدائها.

كما تطرق الدويلة إلى عدد من القضايا الأخرى المحلية والإقليمية؛ مثل قضية «البدون»، والحسابات الوهمية، والأحزاب السياسية، وكذلك الأزمة الخليجية وموقف الإدارة الأمريكية منها، وتأثير «صفقة القرن» عليها.

● أهلاً ومرحباً بكم في «المجتمع».

– حياكم الله، وساعة مباركة مع مجلة «المجتمع» مصدر الإلهام عندنا، وبارك الله في المجلة وفي جهود القائمين عليها.

● يمر الشارع الكويتي الآن بمرحلة تقييم لمجلس 2016، وهو في دور الانعقاد الأخير، فهل إنجازات المجلس الحالي لبّت طموحات المجتمع الكويتي؟

– إذا أردنا أن ننصف فعلينا أن نسجل هذه الإنجازات، وقد استمعت إلى أكثر من نائب يتكلمون عنها، وهي بلا شك إنجازات قيّمة، وواقعية وملموسة، والإشكالية أن الناس لا يستطيعون أن يروا هذه الإنجازات، كما أن الردود على الدعايات المضادة لإنجازات المجلس ضعيفة وبطيئة، وغير موجهة من قبل مكتب المجلس، حيث يفترض على المكتب أن يظهر هذه الإنجازات.

فالمجلس له إنجازات جيدة وقيّمة، وإن كان قد تعثر في أكثر من موقف، لكن هذا التعثر شمل الجميع، وكذلك هناك الكثير من النواب دون مستوى الطموح، ولكن كل المجالس -تقريباً- الأغلبية فيها دون المستوى المأمول، وقد سلك بعض النواب مسالك لم يتوقعها المواطنون، وهذا الأمر أيضاً وارد في كل المجالس.

وأرى أن الحكومة أدركت ذلك في هذا المجلس، فعرفت كيف تتعامل مع النواب، وكيف تمرر إنجازاتها، وكان يفترض أنه ما دامت الحكومة لديها هذه القدرة والمهنية في التعامل مع مجلس الأمة، واحتواء نوابه؛ أن تنجح في تمرير برنامجها، لكنها فشلت، وكذلك لم يتم تمرير أولويات مجلس الأمة، وهذا يدل على ضعف أداء الحكومة؛ فالقضية ليست فقط احتواء، حيث إن الحكومة تستطيع أن تحتوي مجلس الأمة، وتسيطر على الرأي تحت قبة عبدالله

السالم، لكن هذا لا يعني أنها حكومة قوية، أو مميزة.

● **كيف استطاعت الحكومة اختراق مجلس الأمة؟**

– استطاعت الحكومة من خلال هذا المجلس أن تحوز أغلبية مريحة فيه، ونجحت في أن تضع «الإسفين» بين أعضاء المعارضة، منذ الجلسة الأولى، وبالتالي انقسمت المعارضة في الجلسة الأولى إلى 7 أصوات، و9 أصوات، وهذا يدل على سهولة اختراق المعارضة، وهذا ما تم بالفعل، ما أدى إلى إضعافها؛ ولذلك نادراً ما تجد موقفاً موحداً للمعارضة، وأبرز مثال على ذلك الاستجوابات التي تمت في المجلس لم يكن للمعارضة فيها موقف موحد.

● **برأيك، هل عدم وجود تكتلات داخل المجلس أدى إلى هذه الإشكالية؟**

– بلا شك أن العمل وفق آلية منظمة للعمل السياسي أفضل بكثير من هذه الفوضى التي نراها منذ 60 عاماً تقريباً؛ فعلى مدار 57 عاماً ونحن نرى الفوضى في العمل السياسي نتيجة عدم تقنين قانون الأحزاب؛ ولذلك نرى الجميع في حالة عدم انتظام، وكل القوى السياسية –مهما قلَّ عددها أو كثر– تعمل بمفردها؛ حتى إن الأولويات تختلف عند قوى المعارضة.

ولذلك، أعتقد أن الإشكالية الرئيسة هي عدم وجود قانون ينظم العمل السياسي، وهو سبب رئيس في استمرار الأزمات منذ عهد طويل.

● **هل نحن في حاجة إلى الأحزاب الآن؟**

– أعتقد أننا في حاجة إلى توعية الناس أولاً بأهمية تنظيم العمل السياسي، ثم بعد ذلك يتقبل الناس بسهولة العمل الحزبي؛ لأنهم في الوقت الحالي يكرهون العمل الحزبي، لدرجة أنه حتى يستطيع العضو أو المرشح أن يتقرّب للناس؛ لا بد له أن يعلن على الملأ أنه مستقل، وحتى يكتسب قاعدة معينة لا بد أن ينتقد الأحزاب ويتهمها بالخراب، فإذا كان الجو السياسي قائماً على تلك الأفكار؛ فكيف تنتظر من نوابه وسياسييه أن يقودوا سفينة العمل السياسي؟

● **إذا كان المجلس بيد الحكومة، فلماذا لا تقوم بتدشين برنامجها؟**

– يرجع ضعف أداء الحكومة إلى اهتمامها ببعض الأمور الجانبية، مثل التعيينات، وتمرير الاستجوابات، وتمرير المعاملات، وتوزيع الكيكة على القبائل، والنواب، وبعض التكتلات، وليس من أولوياتها إنجاز برنامج عمل تقوم بتنفيذه في شكل مشاريع قوانين، وتستغل أغلبيتها في المجلس وتقوم بتمريره، ويشعر الناس بهذه الإنجازات، ولكن بكل أسف لا يوجد هذا مطلقاً.

المجلس له إنجازات قيمة رغم تعثره وعلى مكتبه أن يبرزها

الحكومة نجحت في اختراق المعارضة وإضعافها ووضع إسفين بين أعضائها

الصوت الواحد أضعف إفرازات العملية الديمقراطية وجعل من السهولة على الحكومة السيطرة على هذه الآحاد

نحتاج حكومة تقود وتنفذ برنامجها بشكل سليم

● **ما هي نتائج نظام «الصوت الواحد»؟**

– لا شك أن «الصوت الواحد» أضعف إفرازات العملية الديمقراطية، وجعل من السهولة على الحكومة، وهي أكبر كتلة منظمة داخل البرلمان، أن تسيطر على هذه الآحاد.

● **أتتوقع أن يكتمل دور الانعقاد إلى نهايته؟**

– نعم، سيكتمل إلى نهايته، ومن حصافة الحكومة أن تحرص على أن يستكمل المجلس دورته إلى نهايتها.

● **هناك قضايا كثيرة مطروحة كالإسكان والتعليم والصحة.. وغيرها، مازالت معلقة.**

– هذه مشكلات موجودة يجب على الحكومة التصدي لها، وتستغل وجود أغلبية برلمانية لصالحها لكي تمرر مشروعها، ولكن ما يحدث هو عكس ذلك.

● **برأيك، هل غياب بعض الرموز السياسية ساعد في عدم تنظيم قوى المعارضة بالمجلس؟**

– لا شك أن الخبرة مطلوبة، والعلاقات السياسية الممتدة مهمة، ولكنها ليست سبباً رئيساً في عدم الانتظام؛ فالمجلس الحالي به شخصيات واعدة وذات علاقات سياسية طويلة، ولكن استغلالها لم يكن بالصورة الجيدة والمأمولة.

● **إلى ماذا نحتاج الآن؟**

– نحن محتاجون إلى حكومة تقود –إن صح التعبير– وتنفذ برنامجها بشكل سليم وصحيح؛ فالحكومة أعلنت برنامجاً جيداً، وكنا نرجو أن يرى النور، ولكن للأسف الشديد لم يحدث هذا؛ لأن معظم وقت الحكومة ضائع في عمليات الترضيات، وهذا خطأ قاتل، ولذلك كل ما نرجوه ويرجوه المواطن الكويتي أن يرى إنجازات على الأرض.

● **هناك إنجازات حكومية كثيرة مثل جامعة الكويت بالشدادية وجسر جابر.. وغيرهما.**

– أعلنت مراراً أنه في خلال السنوات العشر الأخيرة كانت الإنجازات الوحيدة هي البنية التحتية (الطرق والجسور)، ومع ذلك تم طرد الرجل الذي قام على هندستها وإنجازها من منصبه (أحمد الحصان، مدير عام الهيئة العامة للطرق)، وقاموا بانتقاده وتشويهه، فحتى الإنسان الناجح في عمله يتعرض لمثل هذا التشويه، فماذا ننتظر بعد ذلك؟!

● **كيف وصلنا إلى مرحلة «من يُنجز يُبعد»؟**

– الحسد هو الذي يؤدي إلى ذلك، ومن نتائج الحسد أن تقوم بإبعاد منافسيك الناجحين؛ لأنك أنت فاشل، وقد حدث ذلك كثيراً وفي أكثر من وزارة، حيث تم إبعاد الكثير من الناجحين من أعمالهم لأنهم يستطيعون قول «لا» للخطأ، وجيء بأشخاص لا يستطيعون أن يقولوا «لا» للخطأ، وكل ما يدور في خلدهم هو المحافظة على المنصب والكرسي الذي يجلسون عليه، ويستمرون في أعمالهم.

● **ما رأيك في دخول التيارات السياسية الحكومة؟**

– إذا كان هناك برنامج عمل واضح

للتيارات السياسية وللحكومة نعم نقبل بذلك ونؤيده، ولكن إذا كان دخولهم للحكومة يجعلهم في حالة شلل، بحيث لا يدافعون عن حقوق المواطنين والمكتسبات الدستورية، وكل جهدهم هو الدفاع عن وجهة النظر الحكومية، وعن أخطائها، ويصبحون جزءاً من الخطأ؛ في هذه الحالة لا نؤيد ذلك.

● ماذا لو عُرضت بعض المناصب الحكومية على الحركة الدستورية، هل تقبل؟

– القرار عند المكتب السياسي والأمانة العامة، ولكني أنا شخصياً لا أرى أن الوضع أو الوقت الآن مناسبان للمشاركة في الحكومة، على الأقل في الوقت القريب.

● ما رأيك بتفعيل قانون الوحدة الوطنية في ظل الأحداث التي تشهدها المنطقة؟

– لقد مررنا بأوقات كانت الوحدة الوطنية فيها على المحك، وكنا نتوقع إبراز دورها وأهميتها، ولكن مع الأسف الشديد، فإن المعنيين بالأمر والقيادات السياسية للدولة ينشغلون عن الوحدة الوطنية، وعن الشرخ الذي أصابها في مرحلة من المراحل، والآن ربما تكون مصائب قوم عند قوم فوائد، ولعل الأزمة التي تمر بها المنطقة تجعل الكويتيين يقتربون من بعض، والخليجيين أيضاً مع بعضهم، ويتوحدون ضد الخطر القادم.

● ماذا تقول في موضوع «الحسابات الوهمية»؟

– أثير موضوع الحسابات الوهمية للسيطرة على بعض الحسابات المزعجة لهم، لكنها سترجع مرة أخرى، عندما تستخدم بعض الأطراف في السلطة تلك الحسابات، في هذه الحالة ستستمر هذه الحسابات في ممارسة دورها الإعلامي السيئ وابتزازها اللاأخلاقي.

● ما تعليقكم على قضية «البدون» والحلول المتوقعة التي بشّر بها رئيس المجلس مرزوق الغانم؟

– أتوقع أنها ستكون حلولاً كارثية على «البدون»، وسنرجع إلى المربع الأول بعد سنوات من هذا الطرح؛ لأن هذه الحلول ليست واقعية ولا منطقية، رغم أنهم لم يفصحوا عنها حتى الآن، وأعتقد أنه ما دام الجهاز المركزي لـ«البدون» جزءاً من هذا الحل، فمعنى ذلك أن الأمر سيطول.

● كيف ترى الأزمة الخليجية؟ وما مسارات حلها؟

– يجب أن يكون هناك حل للأزمة الخليجية؛ فالجميع متضرر، وكل يوم يزداد هذا الضرر، ويزداد الشرخ فيما بيننا؛ لذا لا بد أن يأتي يوم يعلن فيه أحد العقلاء بالقول: «كفى» لما يحدث من تشرذم، ولا بد أن نرجع إخوة متحابين، ومتصافين، نحن الآن في وضع يرثى له، ووضعنا هذا يؤدي بنا إلى التشتت والضياع، ونكون عُرضة لطمع الآخرين بنا، وخصومنا يربحون الكثير من تلك الخصومة الناشئة فيما بيننا، التي أدت إلى تشرذمنا، لذا أتوقع أنه إذا أراد الله سبحانه وتعالى الخير لنا أن تقف القيادات العاقلة وقفة جادة، وعلى إثرها ينتهي الخلاف والتشرذم، ونعود كما كنا إخوة متحابين ومتحدين، ونفوّت الفرصة على من يتربص بنا الدوائر.

● كيف يتعامل الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» مع الوضع في المنطقة؟

– يوجد لدى «ترمب» هدف واحد فقط؛ هو أمن الكيان الصهيوني، وأي خطوة تؤدي إلى ذلك يؤيدها ويدعمها، وكل ما سيؤدي إلى زعزعة أمنه ويؤثر فيه سيحاربه بكل ما أوتي من قوة، ولذلك كل ما يحدث في المنطقة يصب بالنهاية في مصلحة الكيان الصهيوني، وهذا الأمر يتجاهله الكثير منّا، فـ«ترمب» لا يهمه دول الخليج، ولا اليمن ولا ما يحدث فيه، كل ما يهمه هو أن يتم تمرير «صفقة القرن» في هدوء، بعيداً عن الاعتراضات والتوترات، ولذلك لا بد من إشغال الخليج بأزمات حتى تسير هذه الصفقة وتتمدد بالطريقة المخطط لها، حتى ولو تضررت السعودية أو الكويت أو احترق النفط، وسواء أدى ذلك إلى تقوية إيران، أو إضعافها، هو لا يهمه كل ذلك، فقضية «ترمب» الأولى هي أمن «إسرائيل»، ولم يتبق له سوى عام في الرئاسة، وإذا نجح في الانتخابات القادمة، سيفكر في إعادة الأمن للمنطقة.■

لا أرى الوضع أو الوقت الآن مناسبين للمشاركة في الحكومة

الحل القادم لقضية البدون سيكون كارثياً عليهم وسنرجع للمربع الأول

الأزمة الخليجية لا بد أن يكون لها حل فالجميع متضرر وكل يوم يزداد هذا الضرر

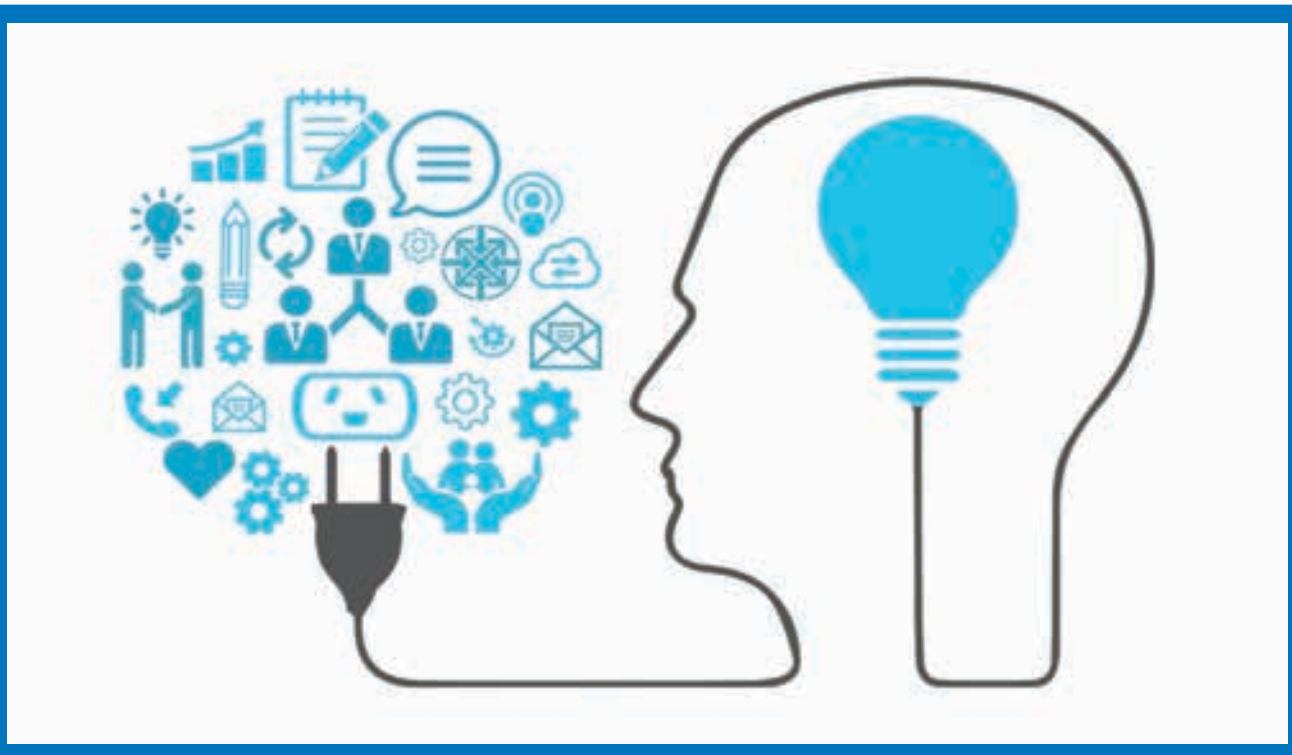

دورات الطاقة.. في ميزان العلم والدين

لقد كرم الله تعالى الإنسان عن غيره من المخلوقات؛ فوهبه العقل الذي يعد مناط التكليف، وكفل له من التشريعات ما يحفظه من العطب والإفساد، أو التعطل عن أداء وظيفته التي بدونها يتحول إلى كائن آخر يفسد في الكون أكثر مما يصلح، خاصة مع تعدد أسباب هذا التعطيل؛ حيث استخدم بعض الناس عقولهم في إفساد عقول غيرهم من خلال المسْكرات الحسية المتمثلة في المخدرات وغيرها، وأيضاً المسْكرات المعنوية المتمثلة في بعض الخرافات والشعوذة التي لا يقل خطرها على العقل عن المسْكرات الحسية.

إن عين الراصد البصير لا تغفل تغلغل بعض الممارسات الخاطئة والمعتقدات والمبادئ الفلسفية الروحية التي لا تخلو من مظاهر وطقوس بعض الديانات الباطنية المنحرفة، التي تقدم للناس فيما يسمى «دورات الطاقة»، حيث تغلفت بغلاف التدريب ودورات التنمية البشرية؛ حتى يسهل على الناس قبولها، والانسياق وراءها، خاصة في ظل حالة الخواء الروحي والإيماني التي يعاني منها كثير من الناس.

ومن الجدير بالذكر في هذا السياق، ضرورة التفريق بين دورات التنمية البشرية والتدريب بصورتها النقية التي تهدف إلى إكساب المهارات وتطوير الشخصية؛ كالدورات الإدارية مثل التخطيط وإدارة الوقت، والدورات الاجتماعية مثل تربية الأولاد والعلاقات الأسرية.. إلخ، وبين هذا النوع من الدورات التي تخلط الحق بالباطل، فتضم مع المطلوب المحمود كثيراً من المرفوض المذموم من الفلسفات والعقائد الباطلة.

ونظراً لخطورة هذا الأمر، كان لا بد من دق جرس الإنذار قبل استفحاله، من خلال هذا الملف الذي تقدّم فيه «المجتمع» الموضوعات التالية التي تجمع الرأي العلمي المتخصص مع التعاليم الدينية الضابطة:

- ندوة «بعض دورات الطاقة مرفوضة في ميزان العلم والدين».
- قبل انحراف دورات التنمية البشرية.
- تنمية الذات.. بين العلم والخرافة.
- البرمجة اللغوية العصبية.. بين الحقيقة والوهم.
- دورات الطاقة الأنثوية.. هل تصلح ما أفسده الفكر النسوي؟
- الإرشاد النفسي.. الميثاق الأخلاقي والقواعد الحاكمة.■

الشيخ سالم القحطاني ود. هيفاء اليوسف والزميل سعد النشوان أثناء الندوة

أقامت «المجتمع» ندوة حوارية حول موضوع «الطاقة النفسية»، استضافت فيها د. هيفاء اليوسف، أستاذة علم النفس المعرفي، ومستشارة المنظمة العالمية لحماية الطفل في بروكسل، والحاصلة على ماجستير في الإرشاد النفسي، والشيخ المهندس سالم القحطاني، الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية.

أدار الندوة:
سعد النشوان

خلال ندوة أقامتها «المجتمع»..

بعض دورات الطاقة مرفوضة في ميزان العلم والدين

في بداية اللقاء، أكدت **د. هيفاء اليوسف** أنه لا يوجد تعريف علمي لدورات الطاقة النفسية والإرشاد النفسي؛ لأن أساس هذه الدورات لا يقوم على منهج علمي، ولكنها تُبنى على احتياجات الإنسان النفسية، فنحن اليوم أصبحنا نعاني من الكثير من المشكلات والتوترات النفسية والاضطرابات، كما أن هناك بعض الشخصيات لها سمات معينة، تجعلها تبحث عن أي قشة تتعلق بها وترى فيها النجاة والراحة، ومن هذا الباب قاموا بالدخول إليهم بهذه الدورات.

وحسب د. هيفاء، فإن هذه العلوم علوم لا منهجية، تُبنى على أحلام وحاجات الناس، محذرة من بعض من يطلقون على أنفسهم ألقاباً كبيرة جذابة مثل «مستشار نفسي» أو «مستشار اجتماعي» لمجرد حصوله على دورة لمدة أسبوع أو اثنين، مستنكرة في هذا السياق أن يكون المتعلمون والمثقفون من رواد هؤلاء الأدعياء، وليس الجهلة والأميون كما كان قبل ذلك.

وأشارت إلى أن الجميع يسعون إلى الإشباع النفسي، لكن يجب أن يكون هذا الإشباع ناتجاً عن التربية والتنشئة الأسرية، والمجتمعية في المجتمع الذي ننشأ فيه، فإذا لم تشبع التربية الأسرية حاجاتي النفسية، ولم يساعدني المجتمع في تلبية تلك الحاجات بطريقة صحيحة، وعجزت عن الحصول عليها بطريقة صحيحة، فقد أجد نفسي مضطراً للجوء لطرق ملتوية من أجل الوصول لإشباع تلك الحاجات، ومنها الالتحاق بمثل تلك الدورات.

حاجات الناس النفسية

وعن حاجة الناس لمثل هذه الدورات النفسية، أكدت د. هيفاء أن الناس فعلاً محتاجون إلى إشباع حاجاتهم النفسية،

لكنها أكدت أن من يتصدى للحديث عن علم النفس، لا بد أن يحمل منهجية علمية واضحة؛ بحيث لا يتعدى الحديث عن تقدير الذات الذي ينادي به الإسلام وعلماء النفس إلى تضخيم الذات، مضيفة: «حينما أقول: أخرج المارد الذي في داخلك، ما المقصود بهذا المارد؟ حينما أقول لك ذلك، فأنا أعطيك إيحاء أنك تمتلك قوة كامنة كبيرة جداً وخفية، ولو أخرجتها تستطيع أن تغيّر العالم...»، لكنها أكدت أن «الإنسان له قدرات محدودة وله فروق فردية؛ فهناك من يحاول ويجتهد فهذا أمر محمود، وهناك من لديه قدرات عالية، وهناك من يمتلك ذكاء عالياً، وهناك من يمتلك ذكاء متوسطاً، وهناك من يمتلك ذكاء منخفضاً، وهناك سمات شخصية حدية، وهناك من يمتلك سمات شخصية نرجسية؛ لذا لا ينبغي أن يقال للشخص المُعالَج بأنك تمتلك قدرة وطاقة كامنة لو أخرجتها أصبح لك شأن ومكانة عالية»، محذرة من أن هذا الشخص المعالج من الممكن أن يُصاب بالإحباط، لأنه سوف يحاول إخراج هذه القوة والطاقة الكامنة في ذاته مراراً وتكراراً، ثم يفشل في إخراجها بعد محاولات عديدة، وبالتالي يتكون لديه مفهوم وقناعة بأنه فاشل؛ فهذا العلاج الخاطئ القائم على هذا الوهم سيؤدي بهذا الشخص الذي يتم معالجته إلى القناعة التامة بأنه فاشل؛ فالعلاج الخاطئ هو الذي أوصله إلى هذه الدرجة من الإحباط.

وأضافت: «أحياناً يقوم العلاج الخاطئ بتوصيل الشخص المُعالج إلى درجة عالية من الرضا النفسي وبسقف مرتفع جداً، وبالتالي مهما فعل من أعمال لا يشعر برضا؛ لأن سقف الرضا مرتفع، إذن لا بد من عمل شيء غير عادي حتى يشعر بالرضا النفسي، أما الشخص العادي فإنه إن عمل شيئاً بسيطاً سيشعر بالرضا، ويكفي أنه ناجح في حياته».

طريقة «بلاسيبو»

وقد أشارت د. هيفاء إلى أنه من الطرق التي يتعامل بها علم النفس أحياناً مع الأمراض العضوية أو النفسية دواء «بلاسيبو»، وهو -حسب د. هيفاء- دواء وليس بدواء؛ فأنا أقوم بإيهامك بأنك تعاني من مرض، ثم أوصف لك هذه «الحبة»، وإن شاء الله يجعل الله الشفاء فيها، ثم أفاجأ بعد جلسة أو جلستين أنك تتعافى، فأنا أعطيتك إيحاء وأوهمتك بأنك مريض ووصفت لك العلاج «بلاسيبو».

وذكرت في هذا السياق أن طريقة «بلاسيبو» في العادة لا نستخدمها لأنها طريقة غير أخلاقية، لأنها تقوم على خداع المريض؛ فلا بد أن تكون هناك مصداقية بيني وبين المريض، وانطلقت د. هيفاء من هذه الطريقة إلى أن الدراسة أثبتت أنه بالفعل من الممكن إيهامك بشيء لدرجة أن تصدقه، وبالتالي من الممكن أن أوهمك وأعطيك إيحاء ذاتياً وداخلياً بأن عندك قدرة، وأنك تستطيع بهذه القدرة فعل أي شيء.

فالإنسان بهذا الإيحاء والإيهام أصبح لديه مشكلة أساسية سببها نتيجة الافتراضات الخاطئة، فأنت تستطيع تغيير حالة الإنسان بالإيحاء والإيهام، ولا دخل للطاقة في ذلك.

وذكرت أنه توجد أمور أخرى، وهي حدوث أشياء في الكون، وخصوصاً ما يسمى بـ«الكرامات»، وأكدت أن الكرامات حتى الآن لا أحد يستطيع أن يفسرها بطريقة علمية؛ فالعلم عند الله عز وجل، وأكدت أننا لا نرفض الكرامات، ولكنها تحدث في حالات استثنائية، وكل الحالات التي سمعتها لا يفسرها العلم بطريقة علمية منهجية.

د. هيفاء:

أساس هذه الدورات لا يقوم على منهج علمي لكنها تُبنى على احتياجات الإنسان النفسية

إذا لم تشبع التربية الأسرية حاجاتي النفسية ولم يساعدني المجتمع فقد ألجأ لطرق ملتوية

الإنسان له قدرات محدودة وفروق فردية وعدم مراعاة ذلك قد يؤدي إلى الإحباط

الآثار النفسية

وحول الآثار النفسية لدورات الطاقة النفسية، أشارت أستاذة علم النفس المعرفي بأنها تصيب الشخص المرتاد لها بالإحباط؛ لأنها تقوم بتقوية ورفع وتضخيم الذات (الأنا)، وفعلياً وواقعياً الشخص المرتاد لا يمتلك هذه القدرات؛ لأننا لا بد أن نؤمن أن هناك من هو ضعيف، ومن هو قوي؛ فالصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه، عندما طلب أن يتولى الإمارة، أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ضعيف، وهذا يدلل على وجود الإنسان الضعيف، والصحيح أن أجعله يمارس الحياة ويتكيف معها، حسب قدراته المحدودة، ويمارس أحسن ما يملك، وكيف أقوم بتغيير هذه الأفكار بحيث يجد أفكاراً عقلانية ومنطقية، لا تتصادم مع العقل والمنطق، بحيث يتقبل حزنه وواقعه.

وأشارت إلى أنه في هذه الدورات يقولون للشخص: لا تتقبل فشلك في الحياة؛ لأن قوتك كبيرة، ولا تتقبل أن تتعثر في الحياة؛ لأن قوتك ضخمة، ولا تتقبل في الحياة أن تعاني من الألم؛ لأنك تستطيع التخلص من هذا الألم..!

لكنها أكدت أنه ينبغي أن نقول: عليك

دورات الطاقة..
في ميزان العلم والدين

أن تتقبّل وضعك؛ فأنت بشر، أنت إنسان؛ فالقوة المطلقة عند الله سبحانه وتعالى، أما أنت فبشر، والله تعالى كتب عليك الضعف والقوة والألم، وكتب عليك الحزن والسعادة، وفي إمكانك صنع سعادتك في أمور بسيطة، ولكن من الخطأ الإيهام بأنه يستطيع أن يصنع سعادة كبيرة وضخمة.

ومن الآثار أيضاً التي أشارت إليها د. هيفاء ما يتعلق بالرضا عن النفس؛ «فأنا أقوم برفع سقف الرضا، فلم يعد يرضيني أي شيء، فلا بد أن أستخرج قوتي الكامنة وأجعلها عظيمة، وإما فلا»؛ وهو ما يصيب الشخص بالإحباط.

نعم للتحفيز والتنمية الذاتية

لكنها أكدت أن هذا الكلام لا يعني أنها ضد النجاح أو العمليات التحفيزية، مضيفة: «نحن في علم النفس نقوم بالتركيز على الناحية التحفيزية، ونتحدث عن الدافعية ومتغيرات الدافعية، ونتكلم عن هرم «ماسلو» والاحتياجات النفسية الموجودة، فأنا لست ضد التنمية الذاتية، أنا ضد ما يبدأ دون البدء بالتوكل على الله، وأغلب ما يحدث اليوم من مسارات، عندما أقول: مسارات وعي، أو هالة، أو سكرة، وأن هناك قوة كونية، وإذا توحدت مع القوة الكونية ستلبي ما لديه من احتياجات، خاصة إذا ركزت في القوة الداخلية.. إذن المرجعية هي قوة الكون والطاقة الموجودة في الكون، وهذا حديث خزعبلات!».

وأشارت إلى أن «علم النفس المعرفي يقوم على أن الإنسان بأفكاره لا يرد القوة للإنسان كإنسان، ولكننا مرات نفكر بطريقة قد تضرنا، نظراً لوضعنا افتراضات غير حقيقية، إما بسبب أننا تربينا عليها، أو اعتقدناها، أو أن هناك ناحية نفسية، وسماتي الشخصية هي التي أثرت عليَّ في طريقة التفكير، لذا فأنا لا أقول له: هيا كي نغيّر أفكارك، وفكّر، وحادث الكون، وخاطبه وقل له: تعال غيّر أفكاري، بالتأكيد أن لا أقول ذلك، بل أقول له: اكتب أفكارك وراقبها وحكّمها كي ترى عقلانيتها، هل هي صحيحة؟ فإن كانت صحيحة أعطني الأدلة، فإن قلت: لا أحد يحبني، فأعطني أدلة بأنه لا أحد يحبك، فأياً كانت هذه الأفكار، نقول له: هل تستطيع أن تستبدلها إلى شيء آخر، فإن استبدلها فإننا نؤمن بأن الفكرة ممكن أن تؤثر على المشاعر، والمشاعر تؤثر على السلوك، فإذا غيّرت الفكرة غيّرت المشاعر، وبالتالي غيّرت السلوك.

فإن تغيّر سلوكه فلا أقول له: إنك أنت من غيّرت سلوكك، وإن الله تعالى لم يساعدك في هذا التغيير، أما أنا فمنذ البدء أقول له: توكل على الله سبحانه وتعالى، فهو الأول والآخر، وبالتالي أدخله إلى المنطقة الشرعية».

وأكدت د. هيفاء في هذا السياق: «أنا مشكلتي أن المادة عندما تُعطى تُعطى بطريقة غير شرعية، وغير عقائدية، وتُعطى بطريقة وهمية؛ حيث تُباع أحلام الإنسان ومستقبله وحاجاته، ويتم المراهنة على حاجاته النفسية، وبالتالي يتم بيع الوهم له، ليس ذلك فقط، بل أقوم بإبعاده عن العقيدة الصحيحة، وهو لا يدري أنه ينحرف عن العقيدة؛ فكل شيء يأخذه يقوم بترديده، وهو لا يدري ما يردد من أقوال ومفاهيم».

واستدلت د. هيفاء على وجهة نظرها تلك بأن الذين يبيعون هذا الوهم كثيراً ما يقولون مصطلحات لا أساس لها عندهم، كالقول: «وقد أثبتت الناحية العلمية»، و«أثبتت الدراسات».. وعندما تطالبهم بالدليل على ما يقولون، تراهم يراوغون ويتهربون من الإجابة، فهؤلاء عندما يستحضرون العلم والتجارب والدراسات العلمية، فإن أغلب الناس لا يسألونهم عن الدليل وعن ماهية هذه الدراسات والتجارب.

في ميزان الإسلام

وبعد هذه التطوافة العلمية المتخصصة مع دورات الطاقة، كان لا بد من استجلاء موقف شرعنا الحنيف منها؛ حيث أكد **الشيخ المهندس سالم القحطاني**، الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية، أن الإسلام تعامل مع هذه الدورات بصورة واضحة جداً جداً، فالإسلام يدعم العلم بشدة، وهذه الدورات غير موافقة للعلم.

والعلم هنا -حسب الشيخ سالم- هو العلم الحقيقي التجريبي الواقعي، الذي تتفق عليه كل الملل والنحل، وأي شيء يتم تقديمه يجب أن يكون بصورة علمية واضحة؛ وبالتالي فهذه الدورات غير منضبطة علمياً وغير منهجية.

وأضاف أن هذه الدورات تتصادم مع ديننا وعقيدتنا ومنهجنا في كثير من الأجزاء، وإلا فكيف بشخص يحصل على دورة تستمر لمدة أسبوعين، يتساوى مع دكتور يظل في الدراسة والتدريب طوال 7 سنوات دون انقطاع؟! وكيف يتم السماح لشخص نال هذه الدورة التي لا تزيد على أسبوعين بأن يعالج الناس ويصف لهم الأدوية؟! هذه هي الإشكالية؛ لذلك موقف الإسلام من دورات الطاقة المنتشرة حالياً موقف متصادم.

لكنه أكد أن الطاقة التي نعرفها لها آثار وصور وأشكال وتتجدد، ولها تعريف مشهور، فهذه الطاقة الفيزيائية التي درسناها وجربناها لا يعارضها الإسلام، أما الطاقة الروحية الكامنة الموهومة هي التي يعارضها الإسلام.

فهذه الدورات -حسب الشيخ سالم- مُزجت بين الأديان والملل والنحل المختلفة، لتخرج إلى عامة الناس بطريقة أنها هي البديل لإشباع الروح، وهي في الحقيقة معارضة لما جاء في الإسلام من أجل معالجة الروح، ومعالجة النفس، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: 85)؛ فالروح شيء عجيب.

وأضاف الشيخ سالم أن الكثير من مرتادي هذه الدورات لديهم خواء، وإشكال وضعف في الجانب الديني؛ لذلك أثبتت الكثير من الدراسات أن المجتمع المتدين، أو العيّنة المتدينة من أي مجتمع عندها استقرار وطمأنينة وراحة لا تجدها عند غيرهم، بمعنى أنه يوجد إشباع.

الإسلام والحاجة الروحية

وحول وسائل الإسلام لإشباع الحاجة الروحية لدى المسلمين، أشار الشيخ سالم إلى أن الأمر الأول هو العبادة، سواء كان في شمولها كالصلاة والدعاء؛ فهذه العلاقة بين العبد وربه سبحانه وتعالى علاقة إشباع عاطفي كاملة؛ بحيث يكون لديه استغناء عمن سواه، كما يقول ابن القيم رحمه الله، الذي تحدث عن أن الروح فيها جفوة وفيها وحشة، لا يشبعها ولا يلم شعثها إلا ذكر الله سبحانه وتعالى، بمعنى أن التدين

الشيخ القحطاني:

هذه الدورات تتصادم مع ديننا وعقيدتنا ومنهجنا في كثير من الأجزاء

الطاقة الفيزيائية التي درسناها لا يعارضها الإسلام لكنه يعارض الطاقة الروحية الموهومة

يوجد بين العبد وربه علاقة إشباع عاطفي بحيث يكون لديه استغناء عمن سواه

مطلوب، وهذا ما أجمعت عليه كل الملل، وأن هناك حاجة للتدين، وجاء الإسلام وأعطى هذا التدين وعالج هذه الحاجة الموجودة عند كثير من البشر بشكل عام، والحاجة المتعلقة بالروح وما يعتريها، مستشهداً بقول الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14).

وأضاف الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف أن الله تعالى هو الذي خلق هذه الروح، وأعطاها منهجية من خلال الجانب العبادي في الإسلام، وكذلك الجانب المعاملاتي؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تغضب.. لا تغضب.. لا تغضب»، وهذا علاج فعّال.

وقد اتفقت د. هيفاء مع ما ذهب إليه الشيخ سالم من أن العبادات والمعاملات توفر الراحة النفسية والاطمئنان والاستقرار عند الإنسان، لكنها أضافت أنه في بعض الأحيان يعاني البعض من اضطرابات نفسية ليست لها أي علاقة بالدين، فيمكن أن يكون هناك شيخ متدين وملتزم ومع ذلك يُصاب باكتئاب، وذلك ليس له علاقة بالدين؛ لأن سبب الاكتئاب يرجع إلى خلل في الناقلات العصبية في المخ، وهناك بعض الأمراض الأخرى التي ليس لها علاقة بالتدين مثل الأمراض العصبية، فيجب عدم خلط هذا بذاك؛ فهناك وساوس تنتاب الشخص، فيقول البعض: إنها وساوس من الشيطان، وهي ليست من الشيطان، لأن هناك وساوس قهرية وعلمية، لذا فنحن نتجه إلى منهجية علمية في التعامل مع الاضطرابات أو الأمراض أو التوترات.

إشكالات شرعية

وفي هذا السياق، أكد الشيخ سالم أن هناك بعض الإشكالات الشرعية في هذه الدورات، منها على سبيل المثال، ادعاءات غير حقيقية، ومستحيلة شرعاً، ومن هذه الإشكالات:

- **مخالفة أصل الإسلام** في توحيد الله تبارك وتعالى، وأنه هو الضار والنافع، فهذه الدورات صرفت الناس عمن هو خالقهم، ومن هو رازقهم، ومن هو المعطي، ومن هو المحيي، ومن هو المميت، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: 180)، حيث يتم صرف الناس عن حقيقة العبودية لله تبارك وتعالى من خلال هذه الدورات.

- **الولع بمعرفة الغيب**، وهذه إشكالية كبيرة جداً -حسب الشيخ سالم- فكثير من الدورات تتعامل مع الغيب، بطريقة متحققة، بمعنى أنك ستحصل على هذا الأمر من الغيب، وأنت ستعرف ما سيحدث لك بعد زمن، كأنك تقرأ من اللوح المحفوظ، بل يقال لك: تعالَ نقرأ سوياً من اللوح المحفوظ ما هو الشيء المكتوب لك، إذن هذه الدورات ليست علمية أو منهجية، بل نوع من السحر والكهانة، أو تنجيم بصورة عصرية، رغم أن التوجيه الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم هو: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (النمل: 65).

- **خدعت الناس** بالإمكانات المهولة غير الواقعية وغير المتقبّلة، واقعاً وشرعاً.

- **استخدام الياقوت** في تقوية أعصاب العين، واستخدام بعض الأدوات والمواد التي لو ثبت علمياً أنها مفيدة لتكوين بعض الأمور المتعلقة بالجسم فلا يوجد فيها إشكال، والشرع لا يعارضها، لكن عندما لا يثبت طبياً أو علمياً أنها مفيدة، بل هي مجرد ادعاء غيبي، نكون في هذه الحالة قد وصلنا إلى مرحلة من المخالفات الشرعية، وأهم هذه المخالفات الافتراء على الله تبارك وتعالى.

- **الشقاء والسعادة:** هذه من المسائل المهمة جداً، من هو الشقي، ومن هو السعيد، هذه مبادئ شرعية واضحة، أما بالنسبة لهم فإن المبدأ يختلف.

- **التنجيم:** قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»، وقال: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر»، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.■

ساعدت دورات التنمية البشرية الناس على فهم أنفسهم ومَن حولهم بشكل أفضل، وساهمت في إكساب المشاركين فيها بعض المهارات التي كانوا يفتقرون إليها، كما أنها ساعدت الكثيرين على الخروج من حالة العجز النفسي واليأس، وأعطتهم جرعات من الطموح والحماس والعزم على تجاوز الإخفاقات والإحباطات وكسر حاجز الخوف والكسل.

قبل انحراف دورات التنمية البشرية

هدى الدهيشي
داعية كويتية وباحثة في علوم الطاقة

نظراً لأن كل شيء مهما كان محموداً إذا جاوز حد الاعتدال والانضباط يصير ذميماً، فإن طفرة الدورات التدريبية التي حدثت قبل 25 سنة تقريباً قد أحدثت حالة من الهوس بحضورها، وإلقائها، فأصبح كل من هبَّ ودبَّ يدخل في هذا المجال ولو لم يكن مؤهلاً، وصار البعض -من المتدربين- يرى هذه الدورات حلاً سحرياً لجميع المشكلات والتحديات النفسية والأسرية والاجتماعية والوظيفية، والبعض الآخر -من المدربين- يراها مصدراً للكسب السريع السهل.

ومن خلال متابعتي وقراءاتي وحواراتي في مجال التدريب والتنمية البشرية، لاحظت أموراً قد يتفق معي في ملاحظتها الكثيرون:

تفكك العلاقات الاجتماعية:

أدّت المبالغة في التحفيز وبناء الثقة بالنفس إلى ما يشبه بيع الوهم والأماني وتزييف الوعي بالذات وتضخيمها؛ بحيث يخرج الشخص من هذه الدورات بثقة مفرطة غير واقعية بنفسه وقدراته، وذات متضخمة يصعب عليها التعامل مع الناس بذكاء وجداني، ويصعب على الناس تقبلها.

وساهم التركيز على «الأنا» وحب الذات ورعايتها وتدليلها في هذه الدورات في تكريس النرجسية والأنانية المفرطة على حياة الناس، وأدى لاختلالات كبيرة في نمط العلاقات الاجتماعية والأسرية؛ سواء بين الأصدقاء، أو الآباء وأولادهم، أو الزوجين، ولذلك رأينا وسمعنا عن حالات كثيرة من انتهاء الصداقات وتفكك الأسر وحالات الطلاق؛ بسبب المفاهيم الخاطئة التي تروج لها هذه الدورات، وأصبح شعار «ذاتي أولاً» سبباً لإهمال الأولاد واختلال معنى الأمومة.

انحراف فكري وعقدي:

الأخطر من ذلك أن دورات التنمية البشرية بدأت تدخل في انحرافات فكرية وعقدية؛ يترتب عليها خلل في منظومة التفكير والاعتقاد، منها على سبيل المثال:

1 - **الترويج لقانون الجذب أو طاقة الجذب** «أنت تجذب ما تفكر به»، ويعبرون عنها أحياناً بـ«ما ترسله يعود إليك»، وهم يعتقدون أن هذا من باب حسن الظن بالله تعالى؛ «أنا عند ظن عبدي بي»، والحقيقة أن قانون الجذب يختلف تماماً عن حسن الظن بالله، فهذا القانون يتعارض مع الإيمان بالقدر، ويقول: إنك تتحمل كامل المسؤولية عن كل خير أو شر يصيبك، وإن تفكيرك بالمرض أو المصيبة هو الذي جذب لك هذا المرض وهذه المصيبة، لا مجال لفكرة الابتلاء هنا! يترتب على ذلك إرهاق النفس وتحميلها ما لا تحتمل من العبء الثقيل، وصرف الإنسان عن التعامل مع الله تعالى كخالق ووكيل ومقدّر للأقدار ومدبّر للأمور.

وكم رأيت من العبارات المنتشرة على لسان رواد دورات الجذب والطاقة وتلاميذهم التي تنبئ عن هذا الخلل الخطير في الاعتقاد، مثل: أنا أصنع أقداري، عالمي يعتني بي، الكون يستجيب لنواياي، أرسل نيتك للكون.. إلخ، وتنحية الدعاء المتضرع لله تعالى، والإقبال على إرسال النوايا للكون، وترديد التوكيدات الإيجابية (مانترا)، مثل: «أستحق الحب والسلام»، «أنا أستقبل الطاقات النقية الجيدة»، «أنا أحصل على ما أريد بيسر وسهولة»، وقد ذُهلت حقيقةً عندما شاهدت مقطع فيديو لأحد الشباب الخليجي المدربين في علوم الجذب والطاقة والوعي يردد فيها «مانترا» لتحقيق الأمنيات: «كُنْ ن ن ن»، يرددها بصوت رخيم ويطيل عند حرف النون ويعيد تكرار «المانترا»، ثم يذكر الآية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: 82)، وعندما انتقدناه على «تويتر»، وكثر المستنكرون له؛ جعل الفيديو خاصاً لا يستطيع أن يشاهده على «يوتيوب» إلا من يسمح هو لهم، كما أن مدربة كبيرة مشهورة في قانون الجذب صرحت في مقابلة تلفزيونية أنه لا قدَر -بالمعنى الذي نؤمن به كمسلمين- ولكن المقصود بالقدر هو القُدرة!

هذا الفهم الخاطئ الذي يفترض، بحسب زعمهم، أن يجعل الشخص أكثر قوة ومسؤولية وحماساً لتغيير واقعه قد سبب انهيارات نفسية لدى الكثير من المنتسبين لهذه الدورات، وحالة من الغضب الداخلي والإحباط الشديد عند عدم القدرة على «تحقيق النوايا»، و«جذب الأقدار»، وكتب أكثر من طبيب واستشاري نفسي على «تويتر» عن الحالات التي تراجعهم بعدما تضررت نفسياً من قانون الجذب.

2 - **تأثرت دورات الطاقة والجذب كثيراً بمفردات وعقائد الديانات الشرقية**، ودخل فيها الكثير من ممارساتها وطقوسها، وهذا

المبالغة في التحفيز وبناء الثقة بالنفس أدّت إلى ما يشبه بيع الوهم وتزييف الوعي بالذات

دورات الطاقة والجذب تأثرت كثيراً بمفردات وعقائد الديانات الشرقية

واضح جداً لكل باحث منصف، فـ«التأمل»، و«اليوجا»، و«الريكي»، و«طاقة البران»، ومصطلحات مثل «غورو»، و«أفتاروماستر»، وتنظيم رحلات للتبت والهيمالايا والهند والمعابد البوذية؛ أصبحت جميعها لا تخفى على أحد، ولا يختلف في دلالاتها اثنان.

والبعض يدافع عن هذا التأثر والاقتباس أنه لا يضر ما دام في أمور الدنيا وليس الدين، ويستشهد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن»، و«اطلبوا العلم ولو في الصين» -علماً بأن الأول إسناده ضعيف جداً ولكن المعنى صحيح، أما الثاني فليس بحديث- بينما في الحقيقة أن التأثير تعدّى الأمور الدنيوية إلى العقائد الدينية، كما أشرنا سابقاً، فيما يتعلق بالإيمان بالقدر واختلال توحيد الربوبية من حيث الاعتقاد أن الإنسان يشارك في صناعة قدره، ومخاطبة الكون والطلب منه والامتنان له ونسبة الشفاء والرزق والإسعاد إليه.

ومن جانب آخر، تتبنى هذه الدورات الإيمان بأمور غيبية لم يأتِ بها الوحي ولم يُثبتها العلم، مثل: تأثير ذبذبات النية، والشاكرات، والهالة، وفضاء الاحتمالات.. وغيرها، بل إن بعض هذه الأمور الغيبية تخالف الوحي؛ كتأثير مواقع النجوم والقمر على طاقة الأرض، وادعاء معرفة الغيب من خلال استخدام «الداوزينج»، وادعاء تأثير الأثاث وأماكن توزيعه في الغرفة على الحظ والقدر (علم «الفينغ شوي»)، وادعاء قدرة الإنسان على تذكّر كلما مر به من يوم أن كان جنيناً في بطن أمه عندما يتم علاجه بخط الزمن.. وغير ذلك كثير مما لا يُحصى.

إضافةً إلى ذلك، تتبنى هذه الدورات مفهوم «الكارما» كاعتقاد راسخ، حتى شاع لفظ «الكارما» بين العامة، وأصبح البعض بحسن نية يعتقد أنه مساوٍ لمبدأ «كما تدين تُدان»، ويغفلون أن «الكارما» عقيدة هندوسية بامتياز، لا تنفك عن عقيدة تناسخ الأرواح التي تتكرر الجزاء في الآخرة.

3 - **يتحدث مدربو الطاقة والجذب عن الروحانية والاستنارة الروحية**، ولديهم تمارينهم الخاصة لتعزيز الروحانية، فماذا يقصدون بها؟ هل هي كما نفهمها بمعنى الإيمان والصلة بالله والخضوع له؟ لا.. إنها

دورات التنمية البشرية بدأت تدخل في انحرافات فكرية وعقدية يترتب عليها خلل في الاعتقاد

في تلك الدورات تضخيم للعقل الباطن وتعظيم من شأنه وادعاء قدرات خارقة له

حالة من تغيير الوعي عبر ممارسات وطقوس معينة للوصول إلى نشوة روحية لا علاقة لها بالله الخالق الملك، الروحانية التي يروّج لها هؤلاء هي مشاعر مجردة لا يترتب عليها تكاليف ولا عبادة ولا طاعة، وكأنما يراد أن تكون بديلاً عن الدين وحلاوة الإيمان، والفرق بين الروحانية (spirituality) والدين (religion) كبير.

وتدعو حركة العصر الجديد -التي نشأت في أمريكا وكانت هي المصدر لكل المفاهيم والأفكار التي تروجها دورات الطاقة- إلى ممارسات روحانية كالتأمل واليوغا والإسقاط النجمي، ومن ثمّ إزاحة الدين بالتدريج عن حياة المنتسبين لها.

4 - **في دورات التنمية البشرية تضخيم للعقل الباطن**، وتعظيم من شأنه، وادعاء قدرات خارقة له، ومن المهم تحرير مصطلح العقل الباطن، والتفريق بين المفهوم النفسي له عند علماء النفس، والمفهوم الفلسفي الذي تروج له دورات التنمية البشرية، فمفهوم العقل الباطن في علم النفس يشير إلى مجموعة من العناصر التي تتألف منها الشخصية، بعضها قد يعيه الفرد كجزء من تكوينه، والبعض الآخر يبقى بمنأى عن الوعي؛ ولذلك يسمى أيضاً اللاواعي، وهو مخزن الخبرات المكتسبة سواء الإيجابية أو السلبية.

أما المفهوم الفلسفي له في هذه الدورات، فهو باختصار إله صغير في داخلك: يخلق الواقع، ويجذب الرزق، ويصنع القدر، ويشفي ويُسعد ويهدي ويُرشد ويعلم كل شيء، ولديه جميع الإجابات وكل الحلول!

والحقيقة أن ما عندي من الملاحظات حول هذه الدورات يطول جداً، وهو حصيلة بحث وقراءة ومتابعة وتواصل شخصي مع متضررين من هذه الدورات، واتصالات من أمهات وأقارب لشباب وفتيات ساءت أحوالهم الإيمانية والدينية والأسرية بعد انغماسهم في هذه الدورات والأفكار.

كل ما أتمناه ودائماً أوصي به من يطلبون المشورة أن يكونوا واعين، ويتفحصوا جيداً عناوين ومضامين الدورات التي يرغبون في الالتحاق بها، ويتأكدوا من أهلية المدرب، وصحة منطلقاته الفكرية، ويحذروا من بائعي أوهام السعادة والثراء والحظ.■

تنمية الذات.. بين العلم والخرافة

أحمد محمد
مدرب ومستشار تربوي

كل علم أو فن أو أي شأن حياتي يوسد إلى غير أهله وغير الخبراء الحقيقيين والمؤهلين له يتحول إلى تهريج يشوّه نظرة الناس الايجابية إلى العلم أو الفن، وهذا الوباء انتقل إلى عالم التنمية البشرية، ودورات تطوير الذات، عندما اكتسبت هذه الدورات الطابع التجاري البحت، ودخل هذه السوق بعض المستعجلين من هواة النجاح السريع والأرباح السريعة على طريقة: كيف تجيد اللغة الفلانية في ثلاثة أيام؟ أو كيف تصبح مليونيراً في أسبوع؟ وفي لمح البصر، تحول بعض المتدربين إلى مدربين دوليين دون بذل أدنى الجهد في تحصيل العلم والمهارة والمثابرة على اكتساب الكفاءات والمهارات والقدرات والمعارف النظرية؛ من علم النفس، وعلم الاجتماع، ونظريات المعرفة والدين والفلسفة التي توفر الرؤية الشاملة لطبيعة النفس البشرية والسلوك الإنساني.

وكان ظهور هؤلاء الأدعياء من الأسباب الأساسية لتبلور نظرة سلبية حول علم التنمية البشرية وتطوير الذات، والنظر إليه باعتباره بيعاً للأوهام والخرافات، وكبسولات تخديرية ينتهي مفعولها بعد الخروج من الدورة.

وهذه النظرة تتضمن الكثير من الظلم لهذا العلم الأصيل في التعامل مع السلوك البشري الذي لا يستغني عنه أحد للتغلب على الكثير من المشكلات المعقولة التي تواجهنا في حياتنا، فجميعنا نحتاج إلى تعلم كيفية إدارة أوقاتنا، ومعالجة بعض المشكلات

في بعض دورات التنمية الفكرية تصل الحال ببعض أصحاب العقليات غير الناضجة إلى الإلحاد

النفسية والسلوكية، والتغلب على بعض نقاط الضعف في شخصياتنا وتنمية نقاط القوة، ولكن عندما يتصدر لهذه المشكلات بعض المتاجرين والأدعياء، وتدخلها المبالغة والتهويل «لزوم التسويق التجاري»؛ تتراجع النظرة العلمية التقديرية لهذا العلم، وتهيمن النظرة السلبية الشعبوية.

ومن هنا، تأتي أهمية التمييز بين أصحاب المهنة الذين بذلوا الجهد في التحصيل العلمي والمهاري، واكتسبوا الخبرة عن جدارة، ويحترمون القواعد الأخلاقية في تقديم الخدمات التدريبية؛ والدخلاء على المهنة.

التنمية الذاتية.. وإفساد النفس بالغرور:

وهناك إشكالية أخرى في هذا المجال، تتمثل في انحراف أساليب تقدير الذات التي تتحول إلى تضخيم لـ«الأنا»، ونرجسية

كل علم يوسد إلى غير أهله يتحول إلى تهريج يشوّه نظرة الناس الإيجابية إليه

هناك إشكالية تتمثل في انحراف أساليب تقدير الذات تدمر النسيج القيمي وتفقد التوازن النفسي

متعالية، وغرور ناتج عن التشبع بأوهام تدمر النسيج القيمي والأخلاقي، وتجعل الفرد يفقد التوازن الفكري والنفسي؛ فيندفع نحو التطرف في النقد والتجريح للآخرين، ويتمرد على الثوابت بدون منهجية راسخة، ويستهتر بتراكم رأس المال المعرفي الذي راكمته جهود جبارة لعلماء أفذاذ أفنوا حياتهم في البحث والطلب، ولا نزعم لهم العصمة، ولكننا في الوقت نفسه نرفض تبخيس جهود علمائنا، وأي جهود علمية نافعة لعلماء مسلمين أو غير مسلمين يجب احترامها، وعدم بخس الناس جهودهم والاستخفاف بقدراتهم.

ولهذا الموضوع شواهد كثيرة، ما زلت أذكر منها أن أحد المدربين انتقد ضعف علماء الأمة السابقين في قدرة التحليل لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، مشيراً إلى أنه استنتج فكراً متميزاً بمتابعته لبعض الأحداث التي مر عليها العلماء السابقون مرور الكرام، وضرب مثلاً على مكوث الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار قبل بعثته؛ ليربط ذلك بعلم الطاقة الذي يدرب فيه، ليكون جمع الطاقة بهذا الشكل مؤدياً للنبوة!

عدم تقدير مستوى المتلقين

فالمشكلة أن بعض المدربين لا يقدرون عقول المتلقين ونفسياتهم وقيمهم الأخلاقية والفكرية، فيساهمون في إفسادهم بغير قصد بتنمية النزعة الذاتية التي تتحول من تقدير إيجابي للذات إلى نرجسية مرضية تمارس التعالي والكبر والغرور، وتستهتر برأس المال الفكري والمعرفي والثقافي للأمة الذي حافظ على هويتها وثوابتها وشخصيتها المستقلة.

وبلغ الغرور بالبعض إلى التطاول على الصحابة الكرام، والتخبط في متاهات الشطط الفكري والتجرد من القيم والمبادئ، والتمرد على الأخلاقيات والتعاليم الإسلامية؛ كالحجاب، والأخوة، وروح التضامن مع الآخرين، وعدم الاكتراث بالشأن العام وهموم المسلمين، والانغماس في إشباع الرغبات الفردية ولو على حساب الآخرين.

تلك المناطق التي يَحْذرُ علماء الأمة الكبار من المساس بها لما لها من قدسية الثوابت في الشريعة -وذلك لم يأتِ اعتباطاً وإنما احتكام واستنباط علمي قائم على الدليل- أصبحت مرتعاً لبعض بسطاء العلم والفكر من المدربين، يستمتعون بروح الإثارة التي يرون آثارها في عيون المتدربين وهم يطرحون آراء شاذة هادمة للثوابت.

خطر الإلحاد والانحراف

وفي بعض دورات التنمية الفكرية غير المنضبطة بالمنهجية العلمية، تصل الحال ببعض أصحاب العقليات غير الناضجة إلى الإلحاد؛ نتيجة عدم التفريق بين الشك المنهجي الموصل إلى اليقين، والشك العبثي المنفلت الذي يقود صاحبه إلى الضلال والانحراف.

إن هذه الظواهر السلبية التي ترافق بعض برامج تطوير الذات تؤكد الحاجة الماسة إلى مراجعة مناهج التنمية الذاتية على ضوء قيمنا الإسلامية، وخصائص الشخصية الإسلامية ومقوماتها، وعلى ضوء نظرية المعرفة الإسلامية، مع ضرورة احترام خصائص النمو والفروق الفردية عند تنزيل المادة التدريبية على المتدربين، وترسيخ قيمة التخصص العلمي، وخاصة فيما يخص العلوم الشرعية التي قد يؤدي ضعف الملقي أو المتلقي فيها إلى سلوك طرق منحرفة لا تُحمد عقباها، ولا بد من التركيز على أهمية التوازن بين تنمية حب الذات وتنمية حب الآخرين؛ حتى لا تتضخم الأنا الفردية بصورة تُلحق الضرر بالفرد في الدنيا والآخرة.■

البرمجة اللغوية العصبية.. بين الحقيقة والوهم

معتصم الجغبير
خبير التدريب والتنمية البشرية

إن الامتزاج الذي يُقدمه الاسم كاف للكشف عن ماهية البرمجة اللغوية العصبية، فتشير كلمة البرمجة إلى الأفكار والمعتقدات والمشاعر، في حين تُعنى كلمة اللغوية باللغة المنطوقة وغير المنطوقة من حركات للجسد والوجه والعين، وتضم كلمة العصبية التجارب الكامنة في الجهاز العصبي التي جرى نقلها بالحواس الخمس.

بدأت الحياة في هذا المفهوم في السبعينيات من القرن الماضي، حين التقى «ريتشارد باندلر»، طالب الرياضيات وخبير الحاسوب ومؤسس علم البرمجة اللغوية العصبية، مع أستاذه «جون جريندر»، عالم اللغويات، وبدأا معاً بوضع الأسس الأولية لهذا المفهوم، متأثرين بنخبة من علماء عصرهما[1]، والجدير بالذكر أن هذا المفهوم هو خليط انتقائي يضم فروعاً من علوم متعددة، مثل علم النفس التجريبي والسلوكيّ والإدارة وعلوم التنمية البشرية الأخرى.

ويرى أصحاب هذا العلم أنه علمٌ يدرس كيفية تواصل الناس مع أنفسهم بصورة تؤدي لتحقيق الأوضاع النفسية المثلى، وتوليد أكبر عدد من الخيارات السلوكيات المنشودة، وبث روح السيطرة على طريقة التفكير، بل ويتجاوز ليصل إلى الأهداف المنشودة.

في حين يقوم هذا المفهوم على جملة من الافتراضات والأدبيات؛ أولها أن الخريطة ليست الحدود؛ التي تعني أن الذي تُدركه ليس بالضرورة هو الحقيقة، وهذا من شأنه أن يدفعنا إلى التغيير، ومن افتراضاته أيضاً أن جودة الاتصال عائد لنوعية الاستجابة التي تتلقاها أثناءه، أما الافتراض المتعلق بالواعي واللاواعي فينص على أنه يتم الاتصال على مستويين الواعي واللاواعي، وفي الخصال الشخصية يتسم الافتراض بأن الشخص الأكثر مرونة هو الأكثر سيطرة في حياته وعليها، وتفترض البرمجة أن الماضي بالنسبة للفرد ما هو إلا تجارب؛ لذا ترى افتراضاً ينص على أنه لا وجود للفشل، إنما الحياة مجرد تجارب، فضلاً أنها تفترض في عالم النجاح أن ما يحققه شخص ما ناجح، فإن أي شخص آخر قادر على تحقيقه، وتمتد قائمة الافتراضات لتصل إلى حوالي أربعة عشر افتراضاً.

آليات وأساليب

وعلم البرمجة كغيره من العلوم لديه آلياته وأساليبه تخدم غاياته وتكفل الوصول إليه، ولعل أبسطها أن تبدأ بالسيطرة على الكلمات؛ فالكلمات المنتقاة بعناية التي تحمل المعنى من شأنها بث برمجة جديدة، وإحداث تماثل كامل لواقع جديد، ومن جملة الأساليب الأكثر ذكاء "المحاكاة"؛ وهي تعليمات تستنسخ عن كيفية عمل الشخص الذي بلغ أرقى مستوى المهارة والفاعلية والسعادة، ومن ثم نقلها وتطبيقها بكل دقة

على شخص آخر، بدءاً من حركات الجسد وإيماءات الوجه والصوت والعيون.

ومن الآليات أيضاً الرابط الذي يعد كتذكرة للولوج لعالم السعادة، وينص على استحضار المشاعر الإيجابية ذهنياً، وفي الوقت ذاته القيام بحركة جسدية بسيطة تدعى الرابط؛ مثل ضم اليدين معاً، أو الضغط بإحدى اليدين بطريقة ما، عندها تنشأ جملة عصبية، ومع التدريب يصبح استحضار هذه الجملة العصبية الجديدة أمراً سهلاً، فكلما قمت بالرابط أي حركة اليد؛ سوف تستحضر المشاعر الإيجابية المرتبطة، وما زال عِقد الوسائل في علم البرمجة اللغوية العصبية أكثر من ذلك، ولكن هذا ما تيسر الإشارة إليه.

دراسات نقدية

من ناحية أخرى، يطول حبل النقد المُلتف حول عنق هذا العلم، وأول انتقاد جاء من أبو العلم ومؤسسه «ريتشارد باندلر» حين حُكم في حقبة الثمانينيات بجرائم عدة، أولها القتل والاتجار بالمخدرات والقوادة، فتلك جعلت أصابع الاتهام بأن صاحب العلم بات لا يستفيد منه.

وذهاباً إلى النقد العلمي، ففي إحدى المرات علق «د. روبيرت كارول» قائلاً: إنه من الصعب تعريف البرمجة اللغوية العصبية؛ لأن الذين بدؤوها وساهموا في إخراجها استخدموا لغة غامضة غير واضحة[2].

وأضاف «د. توماس منيكومسكي»، العالم البولندي[3]، نقداً آخر، وهو الذي تتبع الدراسات خلال الـ35 عاماً الماضية، التي تطرقت للبرمجة اللغوية العصبية من خلال البيانات التي أنشأها مؤيدها، وخلص إلى نتيجة مفادها أن 18% من هذه الدراسات فقط لها فائدة عملية، وأكمل مشوار النقد «د. مايكل هيث»[4]، عالم النفس السريري،

يعتمد على الافتراضات التي في كثير من الأحيان لم يتم إثباتها علمياً ولا جدواها العملي

البرمجة العصبية تقوم على جملة من الافتراضات أولها أن الذي تُدركه ليس بالضرورة هو الحقيقة

حيث قام بتقييم ما يزيد على 70 بحثاً، وانتهى به القول: «إن البرمجة تفتقر إلى الأدلة الموضوعية لإثبات ادعاءاتها؛ فالبحث العلمي المقدم من هذه البحوث فشل في دعم فرضياتها».

ولم تقف حدود النقد عند هذا الحد، بل تجاوزت لتصل الافتراضات والآليات، ومما يذكره علماء النفس أن الافتراضات التي تطبقها البرمجة اللغوية العصبية وتُدرب عليها؛ تُعامل معاملة الحقائق، وهي في الواقع لا ترتقي لمستوى النظرية، بل أن بعض الفرضيات كفرضية «الأنماط التمثيلية» السمعي، والبصري، والحسي، التي تنص على أن لكل إنسان نظامه التمثيلي، ما هي إلا مجرد افتراضات لا تدعمها البحوث، وهذا ما توصل إليه عالم النفس والأستاذ بجامعة شيفيلد البريطانية «مايكل هيث»، أن البحث فشل في دعم هذه الفرضية[5].

خلاصة

على كل حال، ومن باب الإنصاف، سنرى أن هناك حالات استفادت من علم البرمجة اللغوية العصبية، لذا فإننا نقول: إن علم البرمجة هو علم انتقائي وحيادي وحياتي، لكنه لم يصل لمرحلة النضوج والكمال، بل ما زال يعتمد على علوم أخرى، ومن جانب آخر، فما زال يعتمد على الافتراضات التي في كثير من الأحيان لم يتم إثباتها علمياً ولا جدواها العملي، وعليه؛ فإن البرمجة تحتاج للمزيد من القص والتهذيب والزيادة والبحث لتصل إلى ما هو مرجو، وتكون طريقاً معتمداً يخلو من العثرات.■

الهوامش

(1) ميلتون اريكسون: مبدع في علم التنويم وتقنيات الخروج من العقل الواعي، فرجينيا ساتر: المعالجة الأسرية الداهية في مجال التأثير على الآخرين، فرند بيولد: معالج تقنية الجشطالت.

(2) كتاب حقيقة البرمجة اللغوية العصبية (فوز كودي).

(3) د. روبرت كارول أستاذ الفلسفة الناقد بكلية ساكرمنتوا بكالفورنيا بأمريكا.

(4) مقال بعنوان «هل البرمجة اللغوية العصبية علم زائف فراس عالم»، جريدة الشرق، بتاريخ 2012/12.

(5) عالم النفس السريري الأستاذ بجامعة شيفيلد بالمملكة المتحدة.

دورات الطاقة الأنثوية.. هل تصلح ما أفسده الفكر النسوي؟

لعل انتشار ظاهرة دورات التدريب على الأنوثة، وإقبال الفتيات والسيدات عليها، تثير أكثر من علامة استفهام؛ فمن ناحية تظل الأسئلة الملحة والمحورية: أليست الأنوثة أمراً فطر الله النساء عليه؟ فما الحاجة للحصول على دورات تدريبية عليه؟ هل هي وسيلة جديدة لاستغلال المشكلات النفسية والمجتمعية التي تعانيها النساء، ومن ثم وسيلة سريعة للربح وجني المال؟ هل ثمة فارق بين ما يقدم في دورات التدريب على الأنوثة، وما يتم طرحه في دورات التنمية البشرية عموماً؟ ما المستجدات الثقافية والمجتمعية التي أوصلت النساء للحاجة للحصول على دورات أنوثة متخصصة؟ وهل تستطيع تلك الدورات بالفعل الوصول بالمرأة لحالة السلام الداخلي النفسي العميق بعد أن تعيد إليها طاقة الأنوثة المشتتة؟

فاطمة عبدالرؤوف
كاتبة متخصصة بقضايا المرأة والمجتمع

من الملاحظ أن المرأة تعاني في وقتنا الراهن من مشكلات نفسية معقدة، وضغوط حادة، ناتجة من أن هناك صراعاً -قد يصل لحد التناقض- بين عالمها الداخلي أو فطرتها الأنثوية التي تمثل البصمة الوراثية الأصلية، وتلك القيم النسوية التي تم فرضها عليها قسراً في برامج التعليم ووسائل الإعلام التي تدمغ المرأة وترفض تلك القيم بالخنوع والاستلاب، والتربية التي تتلقاها المتذبذبة بين القيم النسوية الجديدة والتقاليد والعادات التي قد تبتعد كثيراً عن القيم الدينية، ومن ثم تقع المرأة فريسة لهذا الصراع بين مشاعرها الفطرية الأنثوية الحقيقية، والطبيعة النفسية الجديدة التي يجب أن تتطابق مع الرجل، حتى تستطيع الحصول على المساواة الكاملة التي هي حجر الأساس في كل النظريات النسوية التي تنفي وجود أي اختلاف بين الجنسين، أو كما تقول «سيمون دي بوفوار»: «لا تُولد المرأة امرأة.. وإنّما تُصبح كذلك»!

وعلى الرغم من كل الجهود النسوية حتى تصبح المرأة كالرجل، فإن المرأة لا تزال تشعر أنها امرأة، وعلى الرغم من كل الجهود التي تبذلها ويبذلها المجتمع لوأد هذه الأنوثة، لا تزال تستشعر بحدسها قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ (آل عمران: 36)، دون قدرة حقيقية على تنزيلها على الواقع.

طاقة الأنوثة

لو استعرنا مصطلحات مدربات الأنوثة؛ فهناك الكثير من النساء ترتفع طاقتهن الذكورية، بما فيها من حدة وعنف وندية وصلابة، بينما تتراجع لديهن طاقة الأنوثة، بما تحتويه من حنان وعطف وذكاء عاطفي ورقة وهدوء، وعلى الرغم من أن الكثيرات منهن يتحدثن عن اضطراب التربية كسبب أساسي لتراجع تلك الطاقة الأنثوية -وهو بالفعل أحد الأسباب- فإن السبب الرئيس هو استشراء الفكر النسوي الذي أثر بدوره على طرق التربية؛ فأصبحت الفتاة تنشأ على أنها مثلها مثل الصبي، وتعد بصورة مبكرة جداً حتى تنازله في ساحة الحياة، وأصبحت المنافسة والصراع والندية تمثل أبجديات العلاقات بين الجنسين.

تم الربط بين الأنوثة والضعف والنقص، فأخذت الفتاة تبتعد عنها، وتحاول اكتساب الصفات الذكورية؛ لأنها تمنحها القوة والكمال، ومن ثم انتشرت أفكار «الجندر»، وأفكار مثل أن الأمومة وظيفة اجتماعية وليست بيولوجية.. ونحو ذلك، لكن هذه الأفكار اصطدمت وبعنف مع طاقة الأنوثة الداخلية، ومن هنا نشأ الصراع الحاد الذي تعيشه كثير من النساء اليوم.

كثير من الفتيات اللاتي يذهبن للحصول على دورات الأنوثة هن فتيات على درجة كبيرة من الجمال الشكلي؛ فعلى الرغم من تراجع روح الأنوثة؛ وما ترتب على ذلك من مشكلات نفسية للنساء ومشكلات مجتمعية، أبرزها الانتشار الواسع للطلاق، فإن الاهتمام بالجمال الشكلي واصل نموه -ربما لتعويض الأنوثة النفسية- كما أن حصول النساء على

دخل خاص مرتفع أدى لمزيد من الإنفاق على الاهتمام بالشكل الذي وصل بالبعض لإجراء عمليات جراحية تجميلية.

لا شك أن الجمال الشكلي جزء من الأنوثة؛ (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) (الزخرف: 18)، والحجابَ في التشريع إنما يكون عن عيون الرجال الأجانب؛ أي في المحيط العام، بينما ينبغي إتاحة كامل الفرصة للفتاة في مساحتها الخاصة أن تُنشَّأ على الزينة؛ حتى تنمو بداخلها روح الأنوثة، ولا شك أن لكل امرأة جمالاً من نوع خاص هي فقط بحاجة لمن يعزز لديها الثقة بهذا الجمال؛ لأن إحدى أهم المشكلات التي تواجه النساء اللاتي يلجأن لدورات التدريب على الأنوثة، أنهن يفتقدن هذه الثقة بالنفس، سواء من الكلمات السلبية التي يسمعنها من الأهل الذين يمتلكون نموذجاً ثابتاً للجمال يقارنون ابنتهم به، أو حتى الزوج الذي لا يعبر لزوجته عن إعجابه بها أو مشاعره نحوها، بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعبر ببساطة عن مشاعره لأم المؤمنين عائشة، ليس بينه وبينها فحسب، وإنما على الملأ، فلما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ النَّاس أحَبُّ إليْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ».

الأغلبية من النساء بحاجة لتعزيز الثقة من تلك الدائرة القريبة (الأهل والزوج)، ومن ثم؛ فإن غياب هذا التعزيز قد يدفعهن إما للتعامل بحدة وعصبية للتغطية على غياب هذه الثقة، وإنكار أنهن يواجهن مشكلة ما، أو طلب المساعدة من المعالج النفسي، خاصة في حالة الوصول لدرجة الأزمة، أو حضور دورات التنمية البشرية العامة، أو تلك التي تعنى بمشكلات الأنوثة تحديداً.

مضمون الدورات

معظم مدربات الأنوثة كن يعملن في الأساس كمدربات تنمية بشرية وإرشاد أسري وزواجي، ولمسن المعاناة النفسية التي تعانيها النساء، وذلك الصراع بين الداخل النفسي والسلوك، ومن ثم جاءت فكرة تقديم دورات متخصصة في الأنوثة، ولعلها أحدث الدورات التي تقدم في مجال التنمية البشرية.

هناك صراع بين الفطرة الأنثوية والقيم النسوية التي تم فرضها قسراً

كثير من النساء ترتفع طاقتهن الذكورية بما فيها من عنف وصلابة على حساب طاقة الأنوثة

بدأت دورات التدريب على الأنوثة بأفكار، مثل: كيف تتقبلين نفسك وتحبينها؟ وكيف تجذبين شريك حياتك؟ ولا تخلو هذه الدورات من الحديث عن الدلال الأنثوي وكيفية تفعيله، ومن القضايا المطروحة بشدة في هذه الدورات الحديث عن الخيانة الزوجية، وكيف تتعامل معها المرأة؟ وفي فترة لاحقة حدث تطور في مضمون تلك الدورات، حتى استطاعت جذب عدد كبير من الفتيات غير المتزوجات؛ لأنها اهتمت أكثر بالتواصل مع الذات والإصغاء لها؛ بحيث أصبح محور هذه الدورات التصالح مع النفس، وخوض رحلة استشفاء ذاتي، واستعادة طاقة الأنوثة المشتتة أو حتى الموؤودة.

تخضع دورات التدريب على الأنوثة بشكل واضح لفكر المدربة، فهناك من تقدم دورات أنوثة قيادية أو «كاريزما» الأنوثة، وهناك من تقدم دورات سحر الأنوثة، أو كيف تصبحين أنثى حقيقية؟

وتحمل بعض دورات التدريب على الأنوثة فكراً محملاً بديانات باطنية؛ حيث الحديث عن الطاقة الحيوية، وكيف تستقبلين هذه الطاقة والشاكرات السبع؟ حتى إن بعض تدريبات الاسترخاء تكاد تكون حرفياً طقوساً لتلك الديانات يتم نقلها دون ذكر المصدر، وبعضهم يستعير مصطلحات تلك الديانات؛ كـ«الانطفاء»، أو «النيرفانا»، أو «الين واليانج».. وغير ذلك.

بعض دورات التدريب على الأنوثة تحمل فكراً محملاً بديانات باطنية حيث الحديث عن الطاقة الحيوية

كل ما يقال في هذه الدورات تستطيع المرأة سوية الفطرة أن تقوم به ببساطة ودون تكلف

ويربط بعضهم الآخر بين مبادئ علم النفس خاصة السلوكي، والقيم الإسلامية التي شرحت الكثير عن قيم الأنوثة والرجولة وأصول التعامل الصحيح بين الجنسين، وتهتم هذه الدورات بالذكر والدعاء والاستغفار والصلاة؛ للتخفيف من الضغوط التي تواجهها النساء، ومن الملاحظ تزايد عدد المدربات اللاتي ينتمين للمدرسة الإسلامية؛ سواء في مجال الإرشاد الزواجي، أو التدريب على الأنوثة.

فطرية الأنوثة

في الحقيقة، ليست المرأة بحاجة لدفع الكثير حتى تستعيد فطرتها الأنثوية، فيكفيها في هذا أن تنصت بصدق لذلك الصوت الداخلي الذي تشعر به وتتبعه.

صحيح أن هذا الصوت قد يكون مشوشاً بفعل هذا الضجيج النسوي الكثيف الذي يحيط بها، ويدعوها للتعامل بحدة وندية في ساحة الحياة، إلا أنه موجود لو صدقت النية فقط في المراجعة؛ فصوت الفطرة لا يمكن أبداً قتله.

كل ما يقال في هذه الدورات تستطيع المرأة سوية الفطرة أن تقوم به ببساطة ودون تكلف، ولكن بعض النساء تكون حقيقة بحاجة لمن يساعدها في ذلك، ولعل في المنتديات النسائية مادة أولية كافية للتدريب، وهناك الكتب والمحاضرات في عالم يميزه وفرة المعلومات، على أن حضور بعض هذه الدورات -خاصة الملتزمة بالمنهج الشرعي- أفاد الكثيرات.

والحاجة ماسة أن تقوم الجمعيات الإسلامية بتبني مثل هذه الدورات بأسعار رمزية؛ للوصول لقطاع أكبر من النساء المهمشات المحبطات المثقلات بضغوط الداخل والخارج، واللاتي بحاجة لمن يضيء لهن بعض المناطق المظلمة؛ سواء على مستوى الوعي بالذات، أو في العلاقات.■

العمل في مهن تقديم التدريب والتوجيه والمساعدة والإرشاد والعلاج للأفراد والمجموعات، ليس عبثاً أو متاحاً لكل من يرغب؛ لأن تقديم المساعدة إن لم تقدم من متخصص مرخص، فقد تُحدث ضرراً يفوق حجم المشكلة ذاتها، والأمر أشبه بمن يقدم مساعدات الإسعاف الطبي في حال الطوارئ والحوادث، إن لم يكن متخصصاً فقد يؤذي؛ لذا حرصت الدول والمؤسسات والجمعيات المهنية المتخصصة أن تجعل للعاملين بمجالات تقديم المساعدة والعلاج والتنمية مهناً متخصصة تحتاج إلى ترخيص واعتماد وإشراف للقيام بها؛ فهي ليست متاحة لكل من أخذ دورة أو مجموعة من الدورات أو حصل على دبلومة مهنية أو أكاديمية، بل تتطلب العديد من الشروط والإجراءات اللازمة للقيام بها.

الإرشاد النفسي..

الميثاق الأخلاقي والقواعد الحاكمة

د. السيد مصطفى الأقرع
دكتوراه في علم النفس - معالج نفسي معتمد في العلاج المعرفي والعلاج بالواقع

للعمل بمجال الإرشاد والعلاج النفسي، تشترط غالبية الدول والجمعيات المتخصصة شخصاً حاصلاً أولاً على شهادة جامعية متخصصة كشرط أساسي، ثم شهادات عليا تخصصية تشمل الدبلوم، والماجستير -وتشترط بعض الدول الدكتوراه الأكاديمية في المجال المخصص- والتدريب والإشراف لساعات في جهات معتمدة تحت مشرفين معتمدين لساعات تصل إلى 3000 ساعة، أو عامين إلى 5 أعوام من التدريب بعد الحصول على المؤهلات العلمية، ثم الخضوع لاختبار ومقابلة للحصول على ترخيص مزاولة مهنة، وبعد الحصول على الترخيص يشترط الاستمرار في التعلم والتطوير، والالتزام بالمواثيق الأخلاقية المحددة للعمل، وتجديد تلك الرخص بشكل دوري.

فالأمر ليس عبثاً أو متروكاً لكل من يجيد الإلقاء ويمتلك مهارات الإقناع، بل يتحتم معه الاعتماد التخصصي العلمي والتدريب الإشرافي للقبول، وإلا فالمساءلة القانونية؛ فعلم الإرشاد والتدريب قائم على تقديم المساعدة المبنية على نظريات ونماذج مثبتة علمياً، وليس اجتهادات شخصية، أو آراء نظرية، أو دينية بحتة، والعديد من الدول والهيئات تطبق تلك المعايير بصرامة كافية لضمان تقديم خدمات إنسانية راقية للأفراد.

ويُقْسم الأفراد المعتمدون والمرخصون للعمل في مهن المساعدة والإرشاد الإنساني على الالتزام بالقواعد والمواثيق الأخلاقية التي تضعها مؤسساتهم المرجعية، وتعتبر هذه المواثيق الأخلاقية بمثابة قواعد يتفق عليها أهل المهنة في تقديم مهنتهم للغير؛ بحيث يمكنهم الرجوع إليها عندما يستشعرون أن هناك خطراً في داخل المهنة، أو عندما يتساءل من هم خارج المهنة عن طبيعة العمل في تلك المهنة؛ فهي بمثابة صمام الأمان الداخلي والخارجي، ويمثل الميثاق الأخلاقي مجموعة المعايير القائمة على مجموعة القيم المتفق عليها، وتمثل ما نتوقعه من تصرفات مهنية من جانب المختص في الإرشاد في علاقته بزملائه في المهنة، وبمن يقدم لهم الخدمة الإرشادية، وكذلك بالمجتمع بوجه عام، ويكتسب هذا الدستور الأخلاقي قوته واحترامه من قوة الالتزام الأدبي والإجماع الصادق على أهمية تنظيم هذه المهنة من جانب العاملين فيها.

قائم على تقديم المساعدة المبنية على نظريات ونماذج مثبتة علمياً وليس اجتهادات وآراء شخصية

يشترط في مقدم الخدمة التدريب في جهات معتمدة تحت مشرفين معتمدين نحو 3000 ساعة

قواعد عامة

وهناك مجموعة من القواعد العامة التي اتفقت عليها غالبية المواثيق الأخلاقية للعاملين بمهن الإرشاد والتدريب، هي:

الأولى: الإحسان وعدم الإيذاء: وتتمثل في بذل مقدمي الخدمات الجهد في تقديم المساعدة وإفادة الأفراد، والحرص على عدم إلحاق أي ضرر بهم، والسعي إلى حماية مصالح وحقوق الأفراد.

الثانية: الإخلاص والمسؤولية: وتتمثل في بناء علاقة مبنية على الثقة مع الفرد، وإدراك المسؤوليات العلمية والمهنية تجاه المجتمع من حولهم، والعمل على إعلاء معايير السلوك المهني، وتوضيح أدوارهم المهنية والالتزامات المفروضة عليهم، وتحمل مسؤولية نتائج سلوكياتهم وتصرفاتهم، والتحكم في تضارب المصالح الشخصية التي قد تؤدي إلى الاستغلال أو الضرر بشكل عام.

الثالثة: النزاهة: وتتمثل في إلزام مقدمي الخدمات تعزيز مفهوم الدقة والأمانة والصدق في أداء المهنة والعلم والتدريس، والابتعاد عن السرقة أو الغش أو الاحتيال أو التحريف المتعمد للحقائق، وبذل الجهد في الحفاظ على وعودهم، وتجنب الالتزامات المبهمة أو غير الواضحة.

الرابعة: العدالة: وتتمثل في إدراك مقدم الخدمة ومقدم الخدمة النفسي أن العدالة والإنصاف تؤهلان جميع الأشخاص للاستفادة من الخدمات المقدمة، بجودة متساوية من ناحية الإجراءات والعمليات.

الخامسة: احترام حقوق الناس وكرامتهم: وتتمثل في احترام كرامة وحقوق وخصوصيات جميع الناس واحترام قراراتهم المصيرية، واحترام الاختلافات الثقافية الفردية،

يجب احترام حقوق وخصوصيات جميع الناس وقراراتهم المصيرية والاختلافات الثقافية بينهم

إذا رأى مقدم الخدمة أن مشكلاته الشخصية تؤثر على كفاءته فعليه اتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من ذلك

مثل: العمر والنوع والهوية الجنسية والعرقية والثقافة والأصل القومي والدين والعجز واللغة والوضع الاجتماعي والاقتصادي.. وغيرها، وأخذ هذه العوامل في عين الاعتبار عند العمل مع أي فرد من هذه الجماعات، كما يجب على مقدم الخدمة القضاء على أي تحيز.

معايير أخلاقية

كما حددت مواثيق العمل المعايير الأخلاقية المتعلقة بكفاءة مقدم الخدمة فيما يتعلق بحدود عمله، أو بقضايا التعامل مع متلقي الخدمة، ومنها:

- **من حيث حدود العمل:** يؤدي مقدم الخدمة عمله في حدود تخصصه فقط، معتمداً في ذلك على دراسته وتدريبه وخبراته المهنية واستشاراته، ويتعهد عند تقديم خدمات في المجال البحثي أو التطبيقي أن يكون لديه تدريب كاف أو تعليم أو خبرة مهنية سابقة متعلقة بمجال خدماته، كما أن عليه أن يأخذ خطوات لكي يقدم عمله بكفاءة عالية، وإذا رأى مقدم الخدمة أن مشكلاته الشخصية بدأت تمنعه من أداء عمله بكفاءة؛ فعليه أن يتخذ الإجراءات اللازمة للحد من ذلك.

- **من حيث التمييز العنصري:** على مقدم الخدمة أن يكون متحرراً من كل أنواع التمييز العنصري، سواء المتعلقة بالسن أو النوع أو الدين أو العرق أو اللون أو الثقافة أو أي شكل من أشكال التمييز العنصري.

- **من حيث التحرش الجنسي:** على مقدم الخدمة أن يبتعد عن كل أشكال التحرش الجنسي؛ سواء اللفظية أو الفعلية، أثناء العمل، وعليه أن يبتعد عن كل السلوكيات التي تهين الأشخاص الموجودين معه في العمل؛ سواء المتعلقة بالعمر أو النوع أو العرق أو الثقافة أو الدين أو اللغة أو المكانة الاجتماعية والاقتصادية.

- **من حيث تجنب الأذى:** على مقدم الخدمة أن يأخذ خطوات مسؤولة لتجنب إيذاء الأفراد والطلاب، والمشرفين والباحثين وكل من له علاقه معهم في العمل.

- **من حيث العلاقات المتعددة وتضارب المصالح** (العلاقات المتعددة تعني إما أن يكون مقدم الخدمة على علاقة مهنية مع شخص وفي الوقت نفسه تربطهما علاقة اجتماعية وثيقة): في حالة تضارب مصالح مقدم الخدمة -الشخصية أو العلمية أو القانونية أو المادية- مع عمله عليه أن يتوقف عن عمله إذا رأى أن هذه المصالح تخرجه عن الموضوعية، أو عن أداء عمله بكفاءة وفعالية.

- **من حيث الموافقة المسبقة:** على مقدم الخدمة النفسي الحصول على موافقة الفرد على كافة الإجراءات الإرشادية، إلا إذا كان قد كُلف من قبل القانون.

- **العلاقة الحميمة مع أقارب الفرد:** على مقدم الخدمة ألا يدخل في علاقة حميمة مع الأفراد الذين يعرفون الفرد أو أقاربه أو الأوصياء عليه، وعليه ألا يقبل تقديم الخدمة مع شخص كانت له علاقة معه في وقت سابق.

- **من حيث السرية:** المسؤولية الأساسية لمقدم الخدمات هي حماية ما يصرح به الفرد كجزء أساسي للعلاقة الإرشادية؛ فالسرية مفهوم أخلاقي، وفي معظم الولايات في أمريكا لا يجوز قانوناً للمرشدين أن يصرحوا بأي معلومات عن الفرد، إلا إذا كانت هناك ضرورة قانونية لإنهاء السرية؛ مثل حالات الإساءة إلى الطفل، والإساءة إلى الكبار في السن، والإساءة إلى أفراد بحاجة إلى رعاية، ووجود خطر يهدد الفرد نفسه أو آخرين، وعندما يشعر مقدم الخدمة أن الفرد بحاجة ماسة إلى إدخاله المستشفى.

وفي النهاية، فإن العديد من الدول لديها قوانين تخص مهن الإرشاد منذ مطلع القرن العشرين، وكثير من الدول العربية أيضاً لديها قوانين لتنظيم عمل المرشدين، ويحتفظ العديد من الدول بميثاق أخلاقي شبه متفق عليه عالمياً.

كل ذلك من أجل ضمان خدمة مهنية تسهم في تحسين حياة الأفراد، وتزيد من جودة حياتهم، وتخفف من معاناتهم، لا أن تزيد من تعاستهم، ومن الفجوة في الأسرة والمجتمعات.■

الكرامات والطاقة النفسية

د. وليد فارس
مدير مركز شؤون العالم الإسلامي
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

تمثل الخوارق للإنسان عالماً آخر بعيداً عن المادية القاتلة التي يحياها كل يوم، ولذلك تظل الروايات التي تحتوي على خوارق من أكثر الروايات مبيعاً في العالم، مثل روايات «هاري بوتر»، ورواية «سيد الخواتم»، وكذلك تصبح الأفلام والمسلسلات التي تتناول مثل هذه الخوارق من أوسع المسلسلات والأفلام انتشاراً، وكما ذكر بعض علماء النفس، فهذه الأعمال الفنية التي تحتوي خوارق تمثل أملاً للإنسان الذي يعاني ثقل الحياة المادية كل يوم؛ وبالتالي تمثل شحنة نفسية إيجابية لكي يستمر مقارعاً الحياة المادية الجافة اليومية.

تغير الموقف العلمي من الخوارق على مدى سنوات عديدة، من الرفض التام بناء على التصور المادي البحت للعالم، إلى قبول خجل لبعض الظواهر التي لا تقبل تفسيراً علمياً مادياً، ونحن الآن في مرحلة أن كثيراً من الظواهر التي كان ينفيها العلم المادي أصبح يتقبلها ويدرسها، محاولاً التعرف عليها وفهمها، وأصبحت فروع من العلوم تتناول هذه الظواهر مثل ما يسمى «الباراسيكولوجي»، الذي أصبح محل اهتمام عالمي منذ فترة، بل وخصصت جهات حكومية في أمريكا وروسيا وبريطانيا دعماً مالياً لدراسة هذه الظواهر منذ فترة بعيدة، وتشمل ظواهر مثل التخاطر والمعروف بـ«التلباثي»، وكذلك تحريك الأشياء عن بُعد، وقراءة الخواطر التي تمر في أذهان آخرين، وكذلك الرؤى والنبوءات المستقبلية التي يدعيها البعض.

المعجزة والكرامة

موقف الإسلام منذ الوحي الأول، وهو في ذلك يماثل كافة الديانات السماوية، يقبل هذه الظواهر الخارقة، ويضع لها أصولاً وضوابط، فيفرق أهل العلم بين المعجزة والكرامة، فيطلقون المعجزة على خوارق الأنبياء، والكرامة على خوارق الأولياء، ولكنَّ هذين المصطلحين ليسا موجودين في الكتاب والسُّنة، وإنما اصطلح عليهما العلماء فيما بعد، وإن كانا في مدلولهما يرجعان إلى ما تقرر في النصوص من القرآن والسُّنة.

وعرف العلماء المعجزة بأنها خارقة للنبي لإثبات نبوته، أما الكرامة فهي خارقة للمؤمن دالة على صلاحه وقربه من الله تعالى.

وفي الوقت نفسه، لم ينف علماء المسلمين أن الخوارق تحدث لغير المؤمنين، بل وتحدث للأشرار أيضاً، وذكروا شروطاً كثيرة في التفريق بين كرامات الأولياء وخوارق المبطلين، وقد كتب في ذلك علماء كبار كشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك الشوكاني، وغيرهما.

وكتب أهل العلم كذلك كتباً في كرامات الأولياء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، التي ثبتت بالأسانيد الصحيحة، وما زال الناس يرون كرامات لعديد من الصالحين من باب إجابة الله لدعائهم فوراً، وبقاء أجساد بعضهم سليمة في قبورهم مع مرور سنوات

عديدة عليها، وكذلك رؤى البعض التي تأتي كفلق الصبح.. وغيرها من تلك الأمور.

كرامات الصحابة

والروايات عن الرعيل الأول من الصحابة والتابعين كثيرة، منها ما رواه البخاري وأحمد -واللفظ له- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، «أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ كَانَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ أَضَاءَتْ عَصَا أَحَدِهِمَا فَكَانَا يَمْشِيَانِ بِضَوْئِهَا، فَلَمَّا تَفَرَّقَا أَضَاءَتْ عَصَا هَذَا وَعَصَا هَذَا».

ومنه ما رواه الذهبي، والبيهقي، وابن كثير رحمهم الله عن الصحابي الجليل عكاشة بن محصن في غزوة «بدر»: «كان عكاشة بن محصن من سادات الصحابة وفضلائهم، هاجر وشهد بدراً وأبلى يومئذ بلاءً حسناً، وانكسر سيفه، فأعطاه رسول الله يومئذ عرجوناً، فعاد في يده سيفاً أمضى من الحديد، شديد المتن، وكان ذلك السيف يسمى العون». (البداية والنهاية، 6/ 338).

وروى البخاري أيضاً من طريق عبدالملك بن عمير عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: «شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّه فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالاً إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّه لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ -يعني هذا الرجل- يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ

الموقف العلمي من الخوارق تغير على مدى سنوات عديدة من الرفض التام إلى قبول خجل لبعض الظواهر

مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ».

روى البخاري عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ، فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيباً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ».

وروى البخاري حديث خبيب بن عدي رضي الله عنه، لما أسره المشركون، وكان

الكرامات مؤشرات أن العلم الذي نعرفه ضئيل جداً مقارنة بعلم الله وما نعرفه هو ظاهر العلوم وليست بواطنها

الكرامات زادٌ نفسيٌّ وإيمانيٌّ يذكّرنا بأن الأمل دائماً موجود بوجود الله عز وجل

خُبَيْبٌ قد قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ عِنْدَهُمْ أَسِيراً، فقال عُبَيْدُ اللَّه بْنُ عِيَاضٍ: قالت بِنْتُ الحَارِثِ: «وَاللَّه مَا رَأَيْتُ أَسِيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللَّه لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ»، وَكَانَتْ تَقُولُ: «إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّه رَزَقَهُ خُبَيْباً».

أثر الكرامة

وهذه فقط أمثلة، ولو توسعنا فيها لاحتاجت إلى مجلدات، ولكن يبقى السؤال المهم الذي أشرنا إليه في بداية المقال وهو: لماذا الكرامة؟

الإجابة عند أهل العلم من القدماء أنها مكرمة إلهية للعبد الصالح، وهذا صحيح، ولكن السؤال: ما أثرها؟

والإجابة أن أثرها على صاحب الكرامة شديد، فهو يشعر بتأييد الله له؛ ولذا كان الأولياء يخفون كراماتهم حتى لا تصبح محل شهرة، ولا تؤثر على عبوديتهم بين يدي الله عز وجل، ولكن أبى الله عز وجل إلا أن يظهر هذه الكرامات بين الفينة والأخرى؛ لتكون لنا أيضاً زاداً نفسياً من الأمل والإيمان أنه لا شيء يستحيل مع قدرة الله، وأن الحياة المادية الجافة التي نحياها التي تقوم على الأسباب والنتائج ما هي إلا كما قال الله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: 7).

فالكرامات مؤشرات لقدرة الله تعالى، ومؤشرات لطبيعة اليوم الآخر المختلفة أيضاً عن عالمنا هذا، ومؤشرات أن العلم الذي نعرفه ضئيل جداً مقارنة بعلم الله، وأن ما نعرفه هو ظاهر العلوم وليس بواطنها.

ما زال المكروب والمظلوم عندما يقرأ إجابة الله الصالحين ينتظر أن يجيبه الله ولا يضربه اليأس، وما زالت الأمة الإسلامية مع ما يمر بها من تحديات وكروب تقرأ كرامات الله للمؤمنين ونصرهم في مواضع يستحيل النصر فيها بمقاييس البشر؛ فتستبشر نفوسهم، وتنتظر فرج الله ونصره الضعفاء والمكروبين والمظلومين.

فالكرامات في الحقيقة زادٌ نفسيٌّ لصاحبها ولمن يراها أو يسمع بها، وهي زاد إيماني يذكّرنا بأن الأمل دائماً موجود بوجود الله عز وجل.■

قراءة في كتاب «الزوايا العمياء بين العلامة والإعلام»..

غرور المدربين أضاع الشباب

بقلم: د. عصام الفليج

حذر الخبير الإعلامي أ. سامي العنزي من خطورة استخدام «الحيل الإعلامية» في المحاضرات والخطب والدورات التدريبية، وانتقاء كلمات معينة لترسيخها في العقل الباطن للمتلقي، من خلال ما يسمى البرمجة اللغوية العصبية واختيار «الزوايا العمياء» التي يخترق فيها الآخرين.

جاء ذلك في كتاب «الزوايا العمياء بين العلامة والإعلام»، الذي تطرق فيه إلى خطورة تغيير مفاهيم بعض الشباب من طلبة العلم الشرعي غير مكتمل النضج والفهم عندما يستمعون إلى محاضرات بلا سقف منطقي ولا عقلي ولا شرعي باسم طلب العلم وتصحيح المفاهيم، حيث لا يراعي العديد من المفكرين المستوى الفكري للمتلقين، الذين قد يكون فيهم أنصاف مثقفين وبسطاء ومبتدئون، ومختلفو الخلفية السياسية والمذهبية والفكرية والثقافية والعلمية، وبالتالي يختلف التأثير بحسب كل فرد.

كما أن معظم هذه الدورات والورش لا تراعي تلك الفروق الفردية بين المشاركين، حيث لا يتم عمل اختبار لمستوى المشاركين، وتحديد درجة اجتياز، خصوصاً في الدورات التي تستهدف الربح، والربح فقط.

أضف إلى ذلك أن هذه الدورات والمحاضرات والخطب أصبحت متاحة للجميع عبر المواقع الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي، وبالتالي يفتقر المتلقي كل المحاذير والفلاتر.

وتتفاقم المشكلة عندما يكون المحاضر معتد بنفسه، ولا يرى أحداً مرجعاً له، وقد وصل إلى مرحلة العجب بالذات، وأذكر أنه سئل أحد هؤلاء المدربين لكثرة مخالفة الشرع: من مرجعك الشرعي؟ فقال بكل ثقة وهو يبتسم: أنا! فقيل له: بالتأكيد.. وإلا ما كنت فلاناً!

ويؤكد أ. سامي العنزي أن هناك عدة مطالبات لمناظرة بعض هؤلاء المتطرفين فكرياً، أو المغرورين على أقل وصف، ومنهم العلامة الشيخ محمد الددو، إلا أنهم اعتذروا.

ويمكن تحذير الناس منهم عندما يكون ذلك بناء على جهل أو غرور أو عجب، ولكن الأخطر من ذلك عندما يكون ذلك خطة ممنهجة لتضييع هوية الشباب ودينهم وعقيدتهم باسم الانفتاح العقلي والعلمي والفكري دون سقف أو خلق أو قيم، ويؤكد أ. سامي أن أحدهم يستخدم طريقتين أو نظريتين إعلاميتين خطيرتين لاختراق عقل المتلقي، وهما:

الأولى: نظرية الغرس الثقافي؛ حيث يعمد المحاضر إلى تشويه المعلومات الثقافية السابقة وفق العقل والمنطق والهوى، ثم يقوم بإحلال معلومات أخرى.

وتعتمد هذه النظرية النفس الطويل والزمن المفتوح والتراكم الاختزالي وتكامل المعلومات.

الثانية: نظرية «الاستخدامات والإشباعات»؛ وهو أن يتحرك على جمهور يعرف ما يشبعه، وهذه بحد ذاتها مهارة كبرى، فيبدأ النغم والتركيز على هذه المحاور التي يستخدمها أولئك الأفراد، ثم ينتقل بهم إلى ما يريد بما يحقق لهم الإشباع الوهمي.

وبلا شك أن كل ذلك يتم بعيداً عن العقل والمنطق، مستغلاً ضعف النفس واستسلام الهوى.

ويستطرد أ. سامي في تفصيل ذلك أن أحد أولئك المحاضرين المنحرفين يستخدم أحاديث موضوعة أو لا أصل لها، ولثقة الناس به فإنهم لا يدققون وراءه، ولولعهم به وحبهم له يتغاضون عن الأخطاء والزلات وإن كثرت.

ومن الفنون الإعلامية التي يستخدمها أولئك المنحرفون «الومضة العالقة»، كأن يستقطع الكلام الذي هو بصدده ليذكر قصة أو طرفة، يبث من خلالها شبهة أو فكرة، ويعود لما كان عليه بأسلوب تراكمي.

كما يستخدمون أسلوب «الفلاشات الثلاث» وهي إلقاء 3 عبارات قوية لافتة للنظر تخدم نفس الهدف، حتى تثبت في الخلفية الذهنية.

وقد يتساءل بعض القراء: ما الآثار الخطيرة التي حصلت حتى أصدر أ. سامي العنزي كتابه هذا وكشف الزوايا الغامضة أو العمياء؟

جاء هذا الكتاب ليحذر من نتائج سلبية أصابت الناس في دينهم وعقيدتهم، بسبب تلك الدورات، ومن أبرز ما حصل:

1 - رفض بعض الشباب للتاريخ الإسلامي وصحته.
2 - الطعن في بعض الصحابة الكرام والتطاول عليهم.
3 - زرع شبه عديدة في العقيدة.
4 - التراخي في قضايا شرعية مختلفة لا خلاف عليها، مثل الخلوة والمكياج.. إلخ.
5 - نزع الحجاب من بعض الفتيات بحجة عدم وجوبه.
6 - الاعتداد بالنفس والغرور.
7 - الإلحاد.

لذا.. كان من الضروري التنبيه لهذه المخاطر التي تدخل العقل بشكل ناعم وهادئ، وإذا أصاب الإنسان الغرور فإنه قد أصيب بمقتل.

وحوى الكتاب رداً تفصيلية وعلمية على الشيخ عدنان إبراهيم؛ ورد على كل الشبه التي ألقاها والمزاعم التي روجها بين الشباب في الجوانب الشرعية والتاريخية والصحابة الكرام، إلا أن الملاحظات الخاصة بالحيل الإعلامية تشمل العديد من المشايخ والمحاضرين والمدربين الذين عرفوا بالغرور والثقة المفرطة والعجب، وكانت لهم آثار سلبية على الشباب فكرة وعقيدة ودينا، سواء قصدوا أم لم يقصدوا؛ ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس: 12).■

الفوائد التربوية من طبقات الشافعية..

الإمام البيهقي

د. يوسف السند
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت

أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله ابن موسى، الحافظ، أبوبكر البيهقي، النيسابوري.

كان الإمام البيهقي أحدَ أئمة المسلمين وهداة المؤمنين، والدعاة إلى حبل المتين.

فقيه جليل، حافظ كبير، أصوليٌّ نحرير، زاهدٌ وَرِع، قانت لله، قائم بنصرة المذهب أصولاً وفروعاً، جبل من جبال العلم.

ولد في شعبان، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة للهجرة.

وسمع الكثير من أبي الحسن محمد بن الحسين العَلَوي، وهو أكبر شيخ له، ومن أبي طاهر الزيادي، وأبي عبدالله الحاكم، والبيهقي أجلُّ أصحاب الحاكم.

وحجّ، فسمع ببغداد من هلال الحفّار، وأبي الحسين بن بِشْران، وجماعة، وبمكة من أبي عبدالله بن نَظيف، وغيره بخراسان، والعراق، والحجاز، والجبال، وشيوخه أكثر من مائة شيخ.

روى عنه جماعة كثيرة، منهم ولده إسماعيل، وحفيده أبو الحسن عُبَيد الله بن محمد بن أبي بكر.

وأخذ الفقه عن ناصر العُمَري، وقرأ الكلام على مذهب الأشعري.

ثم اشتغل بالتصنيف بعد أن صار أوحدَ زمانه، وفارسَ ميدانه وأحذقَ المُحَدِّثين، وأحدَّهم ذهناً، وأسرعَهم فهماً، وأجودَهم قريحةً، وبلَغت تصانيفُه ألف جزء، ولم يتهيأ لأحد مثلُها.

أما «السنن الكبير»، فما صُنِّف في علم الحديث مثلُه؛ تهذيباً، وترتيباً، وجودةً.

وأما «معرفة السنن والآثار»، فلا يستغني عنه فقيهٌ شافعيٌّ، وسمعتُ الشيخ الإمام يرحمه الله يقول: مراده معرفة الشافعي بالسنن والآثار.

وأما «المبسوط» في نصوص الشافعي، فما صُنِّف في نوعه مثلُه.

وأما كتاب «الأسماء والصفات»، فلا أعرف له نظيراً.

وأما كتاب «الاعتقاد»، وكتاب «دلائل النبوة»، وكتاب «شُعب الإيمان»، وكتاب «مناقب الشافعيّ»، وكتاب «الدعوات الكبير»؛ فأقسم ما لواحد منها نظيرٌ.

وأما كتاب «الخلافيات»، فلم يُسبَق إلى نوعه، ولم يُصنَّف مثلُه، وهو طريقة مستقلة حديثيّة، لا يقدر عليها إلا مُبرِّز في الفقه والحديث، قَيِّم بالنصوص.

وله أيضاً كتاب «مناقب الإمام أحمد»، وكتاب «أحكام القرآن للشافعي»، وكتاب «الدعوات الصغير»، وكتاب «البعث والنشور»، وكتاب «الزهد الكبير»، وكتاب «الاعتقاد»، وكتاب «الآداب»، وكتاب «الأسرى»، وكتاب «السنن الصغير»، وكتاب «الأربعين»، وكتاب «فضائل الأوقات».. وغير ذلك.

وكلها مُصنَّفات نظاف، مليحة الترتيب والتهذيب، كثيرة الفائدة، يشهد من يراها من العارفين بأنها لم تتهيأ لأحد من السابقين.

وكانت إقامتُه ببَيْهَق ثم استُدعي إلى نيسابور، ليُقرَأ عليه كتابه «المعرفة» فحضر، وقُرئت عليه بحضرة علماء نيسابور، وشائهم عليها.

قال عبدالغافر: «كان على سيرة العلماء، قانعاً من الدنيا باليسير، مُتجمِّلاً في زهده وورعه..».

وقال شيخنا الذهبي: كان البيهقي واحدَ زمانه، وفرْد أقرانه، وحافظ أوانه..».

قيل: وكان البَيْهقي يصوم الدهرَ من قبل أن يموت بثلاثين سنة.

توفِّي البيهقي رضي الله عنه بنيْسابور، في العاشر من جمادى الأولى، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة[1].

العبر والفوائد التربوية:

- حسن تنسيق كتب الإمام البيهقي يرحمه الله تعالى، وعنايته باختيار مواضيعها، وتفرده بابتكارها وتنظيمها وإتقانها، وتنوع مادتها، ودقة تأليفها، بعد توفيق الله تعالى، كانت مدعاة لقبولها من العلماء ومن عموم المسلمين، حتى قيل عن مصنفاته: نظافٌ، مليحة الترتيب والترتيب، كثيرة الفائدة..

- لقد بارك الله في ذرية الإمام البيهقي حتى روى عنه ولده وحفيده، وهذا دليل على عناية العلماء بأبنائهم تعليماً وتربية وتثقيفاً.

- الزاد الإيماني من صلاة وصيام وذكر محل اهتمام العلماء الربانيين، وهو سبب بركة قبول الناس لعلمهم ودعوتهم، وكان الزاد الإيماني يعضده سلوك نحو زهد وورع وقناعة بيسير من الدنيا.

- الدأب والسعي لطلب العلم مهما طال الزمان وامتد العمر وكثر الشيوخ المعلِّمون، فقد كان للإمام البيهقي أكثر من مائة شيخ.

والحمد لله رب العالمين.■

الهامش

(1) ابن السبكي- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي.

رغم أن الحملة الانتخابية البرلمانية في تونس انطلقت في 14 سبتمبر الماضي، فإنها لم تعرف الزخم الذي عرفته المناسبات السابقة بعد الثورة 2011 و2014 و2018م.

ويؤكد محللون وخبراء تحدثوا لـ«المجتمع» أن ذلك يعود لعدة أسباب، من بينها الصراعات والتشتت الذي تشهده الساحة السياسية في تونس، كما أن توقيت الانتخابات تزامن مع العودة المدرسية، التي تمثل أولى أولويات الأسر التونسية.

تونس ▯ عبدالباقي خليفة:

تونس.. هل تعكس حصيلة الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية النتائج البرلمانية القادمة؟

كانت الأحزاب السياسية قد خاضت الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية بكل ما أوتيت من قوة، ثم حصل نوع من الفتور بعد ظهور النتائج التي لم تكن تنتظرها، وكل ذلك أثّر على الحملة الانتخابية البرلمانية من حيث الزخم الانتخابي والحضور في الشارع.

وأكد المحلل السياسي سمير حمدي، لـ«المجتمع»، أن الخارطة السياسية لم تعد كما كانت عام 2014م، حيث تم صنع حزب انتخابي، من أجل تحقيق التوازن مع حزب حركة النهضة، وحصل على المرتبة الأولى في الانتخابات التشريعية التي تمت آنذاك، ولكن ما إن انتهت الانتخابات حتى بدأ بالتفكك، وساهمت تلك التجربة في الحيلولة دون تكرارها في عام 2019م، لما تركته في حزازات بين أصحابها؛ وبالتالي نحن أمام مشهد حزبي يغلب عليه التشظي، مقابل حزب منظّم هو حزب حركة النهضة، التي لم ولن تتأثر بنتائج الانتخابات الرئاسية في الانتخابات التشريعية، بل إن جزءاً من خزانها الانتخابي الذي صوّت لقيس سعيد سيعود إليها يوم 6 أكتوبر في الانتخابات التشريعية.

ولم ينف حمدي وجود ميول انتخابية للقوى الجديدة التي طفت على الساحة، لكن من السابق لأوانه الحديث عن تحقيقها مفاجآت في الانتخابات، وهو ما تظهر عكسه عمليات سبر الآراء التي تجعل الأحزاب في المقدمة، وإن كان أحدها جديداً وطارئاً على الساحة الحزبية.

وأشار حمدي إلى أن الخارطة السياسية على أعتاب انتخابات 2019م تشير إلى تراجع الأحزاب المنبثقة عن نداء تونس، وظهور العديد من القوائم المستقلة التي تهدف لتحقيق نفس نتائج الانتخابات البلدية في مايو 2018م، مع اضمحلال اليسار والقوميين الذين يخوضون الانتخابات بقوائم مختلفة ومتنازعة، عكس ما كان عليه الوضع في عام 2014م، وحصولهم آنذاك على 15 مقعداً، وهو إنجاز مستبعد في عام 2019م؛ نظراً للنتائج الهزيلة التي حققها اليسار في الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية.

رمال متحركة

ووصف المحلل السياسي صلاح الدين الجورشي الساحة الانتخابية بالرمال المتحركة، وقال لـ«المجتمع»: الواقع لم يستقر بعد، وعملية الإحاطة بكل أثقاله سابقة لأوانها، وكل ما يقال في هذا الخصوص سابق لأوانه، لكن الحيرة حقيقة واقعة.

وتابع: هناك بعض المؤشرات التي يجب أن نسوقها قبل الخوض في موضوع الانتخابات التشريعية، التي تؤكد أولاً: وجود حالة إحباط لدى الناخب من مختلف التنظيمات السياسية بنسب مختلفة، ثانياً: انهيار المنظومة القديمة واضح وضوح الشمس، ثالثاً: القوى التي تخوض الانتخابات البرلمانية متعددة ومتنوعة،

ويعتبر المستقلون ظاهرة في هذه الانتخابات كما حدث في الانتخابات البلدية.

لكن ما يغلب على الساحة هو الشقوق والتصدعات في كل مكان من السقف إلى الجدران، وظهور الشباب بشكل جلي في الانتخابات الرئاسية، وسيتواصل في «التشريعية»، وهو ما أدخل ديناميكية على المشهد السياسي ككل، وأردف: إذا نظرنا في هذه العوامل، فإننا ننتظر تشكلاً جديداً للمشهد الحزبي؛ حيث إن المشاركة هي الحل -كما بدا للشباب- بدل إلقاء القنابل الحارقة (استعارة) على السياسيين.

لكن اللافت أكثر للنظر -وفق الجورشي- هو خروج الإعلام من المعادلة، فالإعلام تصور نفسه عملاقاً يرفع أحزاباً ويضع أخرى، ولكن انتخابات 2019م وجهت ضربة قاصمة للإعلام، ورسالة مفادها أن دوره قد انتهى أو تقلص إلى أبعد حد، بشبكاته وعناصره، ومعلقيه، وهذا ما كشفت عنه الانتخابات الرئاسية، وهو ما ستلقيه من ظلال على الانتخابات البرلمانية.

وقال منسق جمعية دستورنا أستاذ القانون الدستوري جوهر بن مبارك، لـ«المجتمع»: تعطينا النتائج الإجمالية للانتخابات أملاً يتأسس على ما حصل عليه المحسوبون على الثورة؛ فما حصل عليه أنصار الثورة يفوق بكثير ما حصل عليه المتحفظون على الثورة، أو من يناصبونها العداء، وأضاف: هذه فكرة مهمة للغاية؛ وهي أن الثورة ثقل سياسي وشعبي لا يستهان به، وأن ما حدث في عام 2011م لم يكن قوساً وأغلق، وإنما مسار وصراع لا تزال تخوضه الثورة سيلقي بظلاله على الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية دون شك، وعلى الانتخابات البرلمانية القادمة لا محالة.

وأشار إلى أن كل المترشحين الذين حققوا نتائج إيجابية في الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية السابقة لأوانها سيحققون نتائج مماثلة في «التشريعية»؛ فهي محرار تقاس به نوايا التصويت، وعمليات سبر الآراء تنحو هذا المنحى كما يعلم الجميع.

ويرى سمير حمدي أنه في حالة فوز قوائم مستقلة كثيرة في الانتخابات التشريعية، فإن سوق البيع والشراء ستفتح على مصراعيها، لمن يدفع أكثر، وسنشهد عمليات تحوّل وسياحة من حزب إلى حزب آخر، بشكل يفوق ما حصل في السابق على يد من أسس لهذه التجارة واكتوى منها في الوقت نفسه، وهو يدعو لوقفها بعد أن لحقه ضررها، وتابع: كل من ينتخب قوائم لا برامج لها وليس لها أفق سياسي تتمتع به سيجد نفسه أمام مشهد سريالي قد يكون أكثر سريالية مما حدث حتى الآن، لا سيما أن الأرقام تشير إلى أن ما لا يقل عن 15% من أصوات النهضويين ذهبت إلى قيس سعيد.

حمدي: نحن أمام مشهد حزبي يغلب عليه التشظي مقابل حزب منظم هو النهضة

الجورشي: الانتخابات وجهت ضربة قاصمة للإعلام بعد أن تصور نفسه عملاقاً يرفع أحزاباً ويضع أخرى

بن مبارك: ما حصل عليه أنصار الثورة يفوق بكثير ما حصل عليه المتحفظون عليها

الحوكي دعا إلى إيجاد كتلة برلمانية قوية تكون قادرة على حفظ التوازنات وتمرير مشاريع القوانين

كتل برلمانية وازنة

وأعرب جوهر بن مبارك عن مخاوفه من إفراز الانتخابات التشريعية القادمة لبرلمان لا توجد به كتل برلمانية وازنة قد يعجز عن تشكيل حكومة، كما حدث في العراق ولبنان وسويسرا، واستمر ذلك في بعض هذه البلدان لأكثر من عام، وهي أسئلة كثيرة يجب البحث لها عن أجوبة من الآن، حتى لا نقع في أسوأ سيناريوهاتها في تونس، فإذا ما استمر الوضع على ما هو عليه؛ فسنحصل على برلمان هجين لا يمكن للقوى الفائزة فيه أن تشكل حكومة، برلمان يقوم على الجدل العقيم، وعلى مصالح فئوية أو جهوية أو مالية زبونية، وهو ما يدعو الأحزاب الكبرى إلى أن تتدارك أمرها حتى تتمكن من قيادة البرلمان في السنوات الخمس القادمة، وفق برنامج واضح، والكرة في يد الناخب الذي يتم استقطابه.

بدوره، أعرب رئيس المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مهدي مبروك، لـ«المجتمع»، عن مخاوفه من أن يكون البرلمان القادم فسيفساء من الجمعيات والأحزاب، وقد لا تكون هناك كتل كبيرة وازنة تساهم في المصادقة على ميزانية الدولة والقوانين الضرورية، كما أن الميزانية القادمة سيصادق عليها البرلمان المنتخب، وبما أن هذه الانتخابات تشارك فيها قوائم مستقلة وجمعيات لا تمتلك رؤية ولا برامج؛ وبالتالي هناك مخاوف من عدم التجانس، ويكون البرلمان مشلولاً.

إلى ذلك، أشار المحلل السياسي صلاح الدين الجورشي إلى أن نتائج الانتخابات البرلمانية ستؤكد مستوى الهبوط للأحزاب السياسية؛ فمن يريدون ورثة المنظومة السابقة غير قادرين على تحقيق مكاسب، بل عاجزين على الاحتفاظ بما لديهم الآن، ودعا الجورشي حزب حركة النهضة إلى النظر في أشياء كثيرة لم يسمها، لكنه أقر بوجود عمق شعبي ووزن انتخابي لحركة النهضة التي آثرت التوافقات والتحالفات على خزانها الانتخابي.

وذكّر الجورشي بأن المشهد الانتخابي أصبح بدون يسار، قائلاً: نحن في مرحلة لم يعد لنا فيها يسار، رغم أنه مثّل جزءاً من الوعي العام.

في حين يرى أستاذ القانون الدستوري شاكر الحوكي أن الانتقال الديمقراطي يسير بقوة للتغيير والطموح في التغيير، وأن النظام البرلماني سيتعزز أكثر بعد سقوط مطالب تغييره، وبعد الصعوبات التي وجدتها الدولة العميقة والوضع الذي آل إليه السباق الرئاسي ومن ثم التشريعي، ودعا إلى إيجاد كتلة برلمانية قوية تكون قادرة على حفظ التوازنات وتمرير مشاريع القوانين، وقبل ذلك تشكيل الحكومة المقبلة، وإعطاء الفرصة لجميع الحساسيات بالوجود داخله.■

مع تقديم رئيس حزب العدالة والتنمية السابق، رئيس الوزراء الأسبق، «أحمد داود أوغلو»، استقالته من الحزب، يكون قد أغلق الباب على التخمينات المتعلقة بمساره المستقبلي، ليفتح الباب على أسئلة وعلامات استفهام بخصوص مستقبل العدالة والتنمية الحاكم في تركيا منذ عام 2002م.

العدالة والتنمية التركي وأزمته الداخلية

د. سعيد الحاج
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

لم يكن «داود أوغلو» أول المستقيلين من العدالة والتنمية ولا آخرهم، لكن قصة استقالته كانت الأكثر جذباً للاهتمام، فقد استقال قبله نائب رئيس الوزراء الأسبق لشؤون الاقتصاد ومهندس نهضة تركيا الاقتصادية «علي باباجان»، ووزير العدل الأسبق «سعد الله أرغين»، كما استقال بعده عدد من القيادات الحزبية الوسيطة وخصوصاً من الكوادر الحزبية النشيطة والشابة، إضافة لإلغاء مئات الآلاف من الأنصار عضويتهم في الحزب، وفق بعض التقارير؛ احتجاجاً على واقع الحزب الحاكم وخطابه وسياساته.

كانت استقالة «باباجان» متوقعة إلى حد كبير، حيث يُعرف عنه أنه يلتقي منذ أشهر بشكل دوري مع عدد من القيادات الكبيرة سابقاً في العدالة والتنمية، مثل «أرغين»، ووزير الداخلية الأسبق «بشير أتالاي»، ونائب رئيس الحزب الأسبق «حسين تشيليك»، وآخرين، للترتيب لتأسيس حزب جديد، بدعم من الرئيس السابق «عبدالله جل».

أما «داود أوغلو» فقد بقي في صفوف العدالة والتنمية بعد استقالته من رئاسة الحزب والحكومة عام 2016م، رغم أنه لم يضطلع بأي دور حزبي أو حكومي منذئذ، ورغم ما يُعلم من معارضته لمواد الاستفتاء الشعبي الذي أتى بالنظام الرئاسي للبلاد والكثير من السياسات المطبقة بعده.

إلا أن الانتخابات البلدية في مارس 2019م، التي تراجع العدالة والتنمية نسبياً فيها، شكلت منعطفاً حاداً أدى لخروج الكثير من الانتقادات للعلن ووسائل الإعلام.

في أبريل الماضي، أصدر «داود أوغلو» بياناً مطولاً أسماه «المانيفستو»، شمل انتقادات مفصلة للعدالة والتنمية وواقعه الحالي فكراً وقيماً وممارسة وتحالفات، فضلاً عن مسار تطبيق النظام الرئاسي، والتعامل مع الأزمة الاقتصادية، وآليات العمل واتخاذ القرار داخل الحزب، ورغم حدة انتقاداته وشمولها لمجالات عدة، فإنه (داود أوغلو) ركز على فكرة النقد الذاتي والإصلاح الداخلي، مستخدماً مصطلحات من قبيل «نحن» و«حزبنا».

لكن استمرار «أوغلو» بانتقاداته ورفع سقفها بالتدريج، ثم تحويله من قبل لجنة الحزب المركزية للجنة التأديب فيه، دفعاه لتقديم استقالته استباقاً للإقالة مع تلميح واضح لنيته تأسيس حزب جديد.

انتخابات 2019م البلدية شكلت منعطفاً حاداً أدى لخروج الكثير من الانتقادات للحزب إلى العلن

مع تمركز الصلاحيات بيد أردوغان في النظام الرئاسي تراجعت إمكانات التلاقي أكثر لصالح الافتراق

الأسباب

تراكمت عدة أسباب على مدى سنوات حكم العدالة والتنمية الـ17، وخصوصاً في السنوات القليلة الأخيرة، لتصنع فجوة كبيرة بين «أردوغان» من جهة، وعدد كبير من القيادات السابقة وبعض رفاق الدرب، من جهة أخرى.

بدأ الأمر بنظام الحزب الداخلي الذي يحظر بقاء أي قيادي في منصبه أكثر من ثلاث مدد متتالية؛ الأمر الذي ألقى بظلاله وأخرج عدداً مهماً من المؤسسين والقيادات الأولى للحزب خارج دائرة اتخاذ القرار والمناصب التنفيذية، لكن الأمر تفاقم بشكل غير مسبوق خلال السنوات القليلة الأخيرة؛ بسبب الأزمات المتلاحقة التي واجهها الحزب وتركيا خلالها، التي أدت لترسيخ زعامة «أردوغان» للحزب من جهة، وتوسّع هوة الخلاف بينه وبين مجموعة من القيادات السابقة، من جهة أخرى.

يأتي في مقدمة هؤلاء الرئيس السابق «عبدالله جل» الذي بقي -أو بالأحرى أُبقي- خارج دوائر الحزب بعد انتهاء فترته الرئاسية عام 2014م، ثم استمر الأمر مع عدد آخر من القيادات، كما أن استقالة «داود أوغلو» من رئاسة الحزب عام 2016م بعد تعرضه لحملة تشويش وتشويه أتبعت بـ«تطهير» الحزب من القيادات المحسوبة عليه، ثم ألحق ذلك بعملية التجديد داخل الحزب بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة التي تخللها إقصاء المحسوبين على «داود أوغلو» كذلك.

ومع تمركز الصلاحيات أكثر بيد «أردوغان» بعد بدء تطبيق النظام الرئاسي، الذي كان بدوره أحد أهم أسباب الخلافات بين «أردوغان» والمعارضين له -لا سيما جمعه بين منصبي رئاسة البلاد ورئاسة حزب العدالة والتنمية- بدا أن إمكانات التلاقي تتراجع أكثر فأكثر لصالح الافتراق والتشظي.

هناك أسباب رئيسة خلف هذا التشظي المتوقع قريباً للعدالة والتنمية، في مقدمتها ازدياد عدد الملفات الخلافية بين «أردوغان» وفريقه من جهة، والمجموعة المعارضة، من جهة أخرى، وامتلاك الأخيرة طموحاً سياسياً في مستقبل تركيا، وتراكم الأزمات وتزامنها في البلاد داخلياً وخارجياً، وتراجع حضور الحزب في الحياة السياسية التركية نسبياً في عدة مناسبات انتخابية مؤخراً، وصلت ذروتها مع الانتخابات البلدية في مارس، وانتخابات الإعادة لبلدية إسطنبول الكبرى في يونيو الماضيين.

المستقبل

خرجت من حزب العدالة والتنمية سابقاً قيادات عدة، أبرزها نائب رئيس الوزراء الأسبق وأحد مؤسسي الحزب «عبداللطيف شنار»، لكنها لم تتسبب بتراجع شعبية الحزب في ظل إنجازاته وزعامة «أردوغان» المسلّم بها، وتواضع الأسماء المنسحبة من الحزب كذلك، لكن الأمر اليوم يبدو مختلفاً نوعاً ما.

فمن جهة، يدور الحديث حول عدد كبير من القيادات المؤسِّسة للعدالة والتنمية وصاحبة البصمات في مسيرته وبصماته إلى جانب «أردوغان»، ومن جهة أخرى يبدو الحزب في مسار تراجع نسبي مستمر منذ الانتخابات البرلمانية في يونيو 2015م.

اليوم، ثمة حزبان يُتوقع خروجهما للعلن قريباً من رحم العدالة والتنمية، أحدهما بقيادة «باباجان» بدعم من «جل»، ويضم عدداً من الأسماء الكبيرة، والثاني بقيادة «داود أوغلو»، ويضم عدداً من القيادات والكوادر الحزبية الشابة.

وفي حين تريد المجموعة الأولى هوية جمعية لجذب مختلف ألوان الطيف التركي مع تركيز واضح على الجانب الاقتصادي الذي يبرع به «باباجان»، يركز «داود أوغلو» على منظومة القيم التي يرى أن العدالة والتنمية قد فقدها مؤخراً، ويبدو أكثر محافظة ووضوحاً من المجموعة الأولى، وبالتالي قدرةً على جذب القاعدة المحافظة لحزبه القديم.

ورغم رغبة «داود أوغلو» شبه المعلنة بالتعاون مع مجموعة «باباجان»، فإن الأخيرة تتحفظ عليه لعدة أسباب، من بينها هويته المحافظة الواضحة، والملف السوري الذي حُمِّل وزره، وعامل التنافس القيادي الوارد جداً مع شخص مثله.

لم يُعلن الحزبان رسمياً بعد، وإنما ما زالت اجتماعات الإعداد مستمرة في كليهما، وبالتالي ما زالت برامجهما وخططهما غير واضحة للشارع التركي، ما يجعل من الصعوبة بمكان توقع درجة حضورهما لدى الناخبين، إلا أن الثابت أنهما سيكونان قادرين على السحب من خزان العدالة والتنمية الانتخابي

ثمة حزبان يتوقع خروجهما للعلن قريباً من رحم العدالة والتنمية أحدهما بقيادة «باباجان» والثاني بقيادة «أوغلو»

الخريطة السياسية والحزبية تبدو على أبواب مرحلة جديدة عنوانها التشظي والفسيفساء الحزبية

بهذه الدرجة أو تلك، وفي ظل حالة الاستقطاب المستمرة في البلاد على مدى السنوات القليلة الأخيرة، وتقارب حظوظ تحالفي الشعب والأمة، ومسار تراجع العدالة والتنمية النسبي، سيكون من البديهي القول بأن التأثير البسيط في صندوق الانتخابات بالنسبة للحزبين المنتظرين قد يكون له تأثير الفراشة الكارثي على الحزب الحاكم.

ورغم أن «أردوغان» ومعه قيادة الحزب ما زالوا يملكون أوراق قوة كثيرة، في مقدمتها كاريزما «أردوغان» والإجماع حوله، وإنجازات العدالة والتنمية، والحضور الجماهيري الأكبر في البلاد، وإمكانات الإصلاح والتطوير، ووجود مساحة زمنية مريحة حتى انتخابات 2023م، فإن كل ذلك ليس ضامناً لعدم خسارة الأخير جزءاً من قياداته وكوادره وقاعدته الجماهيرية.

وبهذا المعنى، وبغض النظر عن مدى حضور الحزبين الجديدين (يتوقع إعلانهما قبل نهاية العام) في الشارع التركي، يمكن القول: إن العدالة والتنمية سيتأثر -إلى حد ما- بوجودهما، ما يعني أن الخريطة السياسية والحزبية في البلاد تبدو على أبواب مرحلة جديدة عنوانها التشظي وازدياد مستوى التنوع والفسيفساء الحزبية؛ الأمر الذي يضع تركيا والعدالة والتنمية أمام عدة احتمالات مستقبلية من بينها الانتخابات المبكرة، وإضعاف الرئيس من خلال خسارته لدعم أغلبية البرلمان، وانسداد الحياة السياسية، ما يطرح أسئلة مهمة حول ما يخفيه «أردوغان» في جعبته لمحاولة تخطي هذه الأزمة الأولى من نوعها التي يواجهها حزبه.■

تعديل حكومي في المغرب.. ماذا يضيف للمشهد السياسي؟

في منتصف ولاية حكومة سعد الدين العثماني، الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، ينتظر المغاربة تعديلاً حكومياً أعلن عنه الملك محمد السادس في خطابة الأخير يوم 30 يوليو الماضي بمناسبة ذكرى عيد العرش، وتزامن هذا الانتظار مع إصدار المجلس الأعلى للحسابات تقريراً صادماً عن أداء عدد من الوزارات والإدارات العمومية.

الرباط ▯ عبدالغني بلوط:

يرى مراقبون أن هذا التعديل، وبغض النظر عن الأسماء «المستوزرة»، ضروري في مرحلة بات هناك شعور بالامتعاض والاحتقان من الأداء الحكومي، وعدم تلبية المطالب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، متسائلين في الوقت ذاته عن قيمته المضافة في المشهد السياسي المغربي.

ويقول رئيس المرصد المغربي للمشاركة السياسية جواد الشفدي في تصريح لـ«المجتمع»: إن الخطاب الملكي عندما تحدث عن التعديل الحكومي رفع السقف عالياً بطلبه من رئيس الحكومة لاقتراح كفاءات لتحميلها مسؤولية قيادة الجهاز التنفيذي بالمملكة.

في حين يبرز رئيس الجمعية المغربية لحماية المال العام محمد الغلوسي لـ«المجتمع»، أن التعديل الحكومي يأتي في إطار الحديث الرسمي عن فشل النموذج التنموي والبحث عن آخر جديد يستجيب لحاجيات الساكنة في مجالات متعددة، ويطلق عجلة النمو، ويذهب بالاستثمار إلى أبعد مدى.

ويؤكد الشفدي أنه تسود في الوقت الراهن تخوفات حول التشكيلة الحكومية التي سيتم اقتراحها، خصوصاً أن الكفاءات التي يتوافر عليها كل حزب معروفة، إلا في حالة ما اضطرت الأحزاب المشكّلة للحكومة إلى صبغة أشخاص من خارج تنظيماتها، ومنحها قبعة سياسية لتمكينها من الظفر بحقيبة وزارية.

ويتوقع رئيس الحكومة سعد الدين العثماني أن يتم التعديل بدون عرقلة، مبرزاً أن «الكفاءات» التي تحدث عنها الخطاب الملكي، ستعرف مشاركة كل الأحزاب الستة المكونة للائتلاف الحكومي.

ويذكر الباحث في العلوم السياسية والإعلامي عزيز العطاطري، في تصريح لـ«المجتمع»، كيف أن هذه الحكومة عرفت مخاضاً عسيراً في الولادة، مؤكداً أن بعض الأحزاب الحكومية ستسعى لتحقق مزيداً من المكاسب، سواء من الناحية التكتيكية التي يقصد بها نتائج الحقائب، أو الإستراتيجية المتمثلة في إعادة فرض شروط وقواعد جديدة في منتصف ولاية الحكومة بناء على متغيرات طارئة.

ويضيف العطاطري أن الحكومة كانت لها القابلية للتعديل والتحكم في تشكيلتها منذ البداية؛ مما يؤشر اليوم على أن المحدد الأساسي في طبيعة التوليفة الحكومية المقبلة هو البعد التكتيكي الذي من شأنه أن يحقق مكاسب سياسية للأطراف الحكومية خلال ما تبقى من الولاية الحكومية، والبعد الإستراتيجي الذي يحكمه نتائج ومخرجات انتخابات عام 2021م، التي تشكل بالنسبة للأطراف الحكومية الأخرى رهاناً مصيرياً من شأنه أن يحدد مستقبل كل حزب وقياداته التاريخية ومكانته وموقعه داخل البنية الحكومية.

ويتزامن قرب التعديل الحكومي بصدور تقرير المجلس الأعلى للحسابات، ويلاحظ الشفدي أن الإعلام ركز على بعض الملفات، وعلى أشخاص بعينهم، ويبقى هذا التركيز غير بريء، خصوصاً أنها ليست المرة الأولى التي يصدر فيها تقرير المجلس بهذا الشكل، لأن المحاسبة غالباً ما ينقصها شيء من الحزم مقارنة مع حجم الخروقات التي تأتي في تقارير المجلس الأعلى للحسابات.

ويضيف الشفدي أن هذا التقرير لن يكون مؤثراً على التعديل الحكومي، الذي سيطغى عليه جانب تسيير أعمال الحكومة والذهاب بالبلاد إلى انتخابات عام 2021م بأقل الأضرار، وتجنب ارتكاب أخطاء ذات طابع اقتصادي واجتماعي لتجنب ما وقع بكل من الحسيمة وجرادة.

فيما يبرز العطاطري أن تقارير المجلس الأعلى للحسابات شكلت آلية لتقويم وتصحيح الفعل العمومي من خلال عدد من الآليات، أبرزها، استناداً إلى دستور عام 2011م، ربط المسؤولية بالمحاسبة، بيد أن هذه الآليات محط نقاش عمومي، خصوصاً من قبل هيئات المجتمع المدني والسياسي.

بدوره، يعتقد الغلوسي أن هذا التعديل الذي يأتي في سياق انتخابات عام 2021م، وترتيب المشهد السياسي المقبل، ليس كافياً؛ لأن المغرب يجب أن يسير بسرعة في اتجاه استغلال جميع الفرص لتسريع الاستثمار، وخلق أجواء الشفافية والمنافسة الشريفة، كما أنه في حاجة إلى نقاش عمومي ووطني، وبعده إجراءات سياسية شجاعة تستجيب للتحديات المطروحة على جميع المستويات، في قضايا مصيرية مثل الصحة والتعليم وغيرها.■

أذواق الناس لا تعترف بالمنطق الاقتصادي

أ.د. زيد بن محمد الرماني
مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

يبدأ علم الاقتصاد بفرضية هي أن كل السلوكيات الإنسانية عقلانية، وبالطبع فإن هذه الفرضية ليست دائماً صحيحة بمعناها الحرفي، فمعظمنا يستطيع أن يذكر استثناءات من بين أقرب الناس إليه.

بيد أن صحة الفرضية على نحو حرفي لا تعد شرطاً أساسياً للبحث العلمي، فمثلاً إذا سألت عالم فيزياء كم من الوقت تستغرقه كرة البولينج لتهبط إلى الأرض إذا ألقيت بها من فوق سطح بيتك، عندئذ سيفترض مبدئياً أن بيتك قائم في الفراغ، ثم يبدأ بعد ذلك في إجراء الحسابات ليصل إلى الجواب الصحيح.

وإذا طلبت من مهندس أن يتنبأ بمسار كرة بلياردو ضُربت من زاوية معينة، فإنه سيفترض مباشرة عدم وجود ما يسمى الاحتكاك، وإذا سألت عالم اقتصاد أن يتنبأ بالآثار المترتبة على ارتفاع قيمة الرسوم المفروضة على مبيعات البنزين، فسوف يفترض أن كل الناس عقلانيون ويمنحك جواباً أقرب ما يكون إلى الدقة.

ومما سبق، نرى أن صحة الفرضية لا تقاس بلفظها، وإنما بطبيعة نتائجها، وعلى ذلك المعيار يكون للعقلانية سجل جيد من النجاحات.

لذا، تفترض العقلانية أن الناس يستجيبون للتحفيز، وهي مقولة يؤكدها كثير من الشواهد القوية، وتفترض أيضاً أن استعداد الناس لدفع المزيد في مقابل علبة «كورن فليكس» وزنها أكبر من استعدادهم لدفع المزيد في مقابل علبة وزنها أقل، وأن العمال المهرة سيكسبون عادة أكثر من زملائهم الذين تعوزهم المهارة، وأن الأفراد المحبين للحياة لن يلقوا بأنفسهم من فوق جسر، وأن الطفل الجائع سوف يملأ الدنيا صراخاً ليعلن عن احتياجاته، كل هذه الأشياء عادة صحيحة.

وعندما نفترض في الناس العقلانية، فإننا بذلك نتجاهل تماماً ميولهم، والمقولة اللاتينية: «إن أذواق الناس لا تخضع للمنطق»، إذ هي أحد شعارات عالم الاقتصاد.

إذن، كيف نتعامل مع هذه الظواهر؟ إن الإجابة المنطقية هي أن نقول: «لا يتصرف الناس بعقلانية طيلة الوقت، إنما في معظم الأحيان، ومبادئ علم الاقتصاد لا تنطبق على جميع التصرفات، إنما على بعضها، وتلك بعض الاستثناءات».

أو هناك حل بديل، هو أن نتشبث بذلك الوهم الذي يفترض أن كل الناس يتصرفون بعقلانية طيلة الوقت، وأن نُصِرّ على إيجاد تفسيرات عقلانية -مهما كانت شاذة- لكل هذه التصرفات التي تبدو غير عقلانية.

إن كثيراً من المجتمعات الزراعية البدائية تشترك في صفة غريبة؛ فبدلاً من أن يمتلك المزارع الواحد قطعة واحدة واسعة من الأرض، تجده يمتلك عدة قطع صغيرة من الأراضي الزراعية المتفرقة في أنحاء القرية، وقد دار جدل طويل بين المؤرخين حول أسباب هذه الظاهرة التي يعتقد أنها السبب وراء الكثير من أوجه القصور، ومن الاحتمالات المطروحة أن يكون الميراث والزواج هما السبب، فمن جيل إلى آخر يجري إعادة تقسيم قطع الأرض التي تملكها العائلة بين الورثة، فتتحول إلى قطعة صغيرة، ثم تأتي مسألة الزواج، فتزداد قطع الأرض المملوكة للعائلة الواحدة تباعداً وانتشاراً.

تعرض هذا التفسير لنقد شديد، فهو يقدم صورة من صور اللاعقلانية، إذاً لِمَ لا يتبادل المزارعون قطع الأرض فيما بينهم بصورة دورية بحيث يدمجون ممتلكاتهم ويعززون من قوتها؟

لقد جذبت هذه المشكلة اهتمام عالم الاقتصاد والمؤرخ «دون ماكلوسكي» الذي يتمتع بقدرة فطرية متفردة على ابتكار التفسيرات الاقتصادية العبقرية، فبدلاً من أن يسأل: «أي العادات الاجتماعية أدت إلى هذا السلوك غير العقلاني؟»، طرح «ماكلوسكي» سؤالاً آخر، فقال: «لماذا يعد هذا السلوك عقلانياً؟»، وأوصلته الدراسة المتأنية إلى نتيجة هي أن هذا السلوك نوع من التأمين، فمثلاً في حالة حدوث فيضان في القرية، يتعرض المزارع صاحب قطعة الأرض الكبيرة للتدمير الشامل لممتلكاته، ولكن بتوزيع هذه الممتلكات، فإن المزارع يضحي ببعض الزيادة المحتملة في الدخل، في مقابل أن يضمن ألا تمحى ممتلكاته تماماً بفعل كارثة ما، إن هذا السلوك لا يعد سلوكاً شاذاً، وإنما كل أصحاب العقارات المؤمن عليها في عصرنا الحالي ينتهجون النهج ذاته.

إن الكثير من السلوكيات التي يعتبرها الآخرون أمراً مسلّماً به تثير حيرة علماء الاقتصاد.■

آسام.. قصة شعب يفقد الوطن بين عشية وضحاها

لم تزل كشمير تفور وتثور، ولم يزل شبح البطالة والفاقة يخيم فوق الملايين، ويخنق مستقبلهم، ولم يزل العنف والاعتداءات العنصرية تتصاعد وتتزايد، والشباب يتيهون في الأرض بحثاً عن الفرص التي تبهج زهرة حياتهم.

لكن، لم تقضّ كل هذه الأوضاع الحرجة مضاجع الحكومة الهندية، ولم تحرك ساكنها، حتى عادت مجدداً بإثارة قضية أخرى حساسة؛ هي قضية «أن آر سي»؛ وهي تسجيل المواطنين الذين سكنوا في ولاية آسام، هادفة بهذه الحركة المروعة إلى إبادة المسلمين، ونفيهم، وزجهم في معتقلات قسرية أشبه بزنازين «هتلر» البربرية، وقد تزامنت هذه القضية المأساوية مع قضية كشمير؛ من قمع وبطش واعتقال وتنكيل.

صبغة الله الهدوي

تقع ولاية آسام في أقصى شمال شرق الهند، تحدها شمالاً دولة بوتان، وغرباً بنجلاديش، وتجاورها كل من ولايات بنغال الغربية، وميزورام، وتربارا، وناجلاند.

وفي الوقت الذي يقف فيه حزب بهاراتيا جاناتا متأهباً لكل الألاعيب السياسية لتغطية الثغرات التي لاحقته في الأشهر الماضية، نجد صمتاً مريباً من قِبَل الأحزاب المعارضة، حيث نسيت أولوياتها وانشغلت بالمشادات الكلامية الفارغة، والأحزاب اليسارية، بدورها، ذابت ثورتها؛ فانسحبت من الميدان لتقتنع بالتصريحات الصحفية والشعارات الجوفاء، بل اضطرت قيادات الأحزاب المسلمة العلمانية إلى الصمت المطبق، وتهمشت عفوياً من متن السياسة الهندية.

يسود المشهد السياسي الهندي الخوف والهلع، ولا نجد أحداً يفتح باب النقاش حول هذه القضايا التي تضع حياة الملايين في مهب الريح العاتية.

توثيق الجنسية جاء تحقيقاً لطموحات المنظمات الهندوسية المتطرفة للسيطرة على مناطق المسلمين

إذن، ما قصة «إن آر سي» التي أصبحت كابوساً على أولئك الملايين الغرباء في وطنهم؟

هي عبارة عن سجل يشمل أسماء المواطنين الذين يمكنهم إثبات قدومهم إلى ولاية آسام الهندية قبل 24 مارس 1971م، وهو اليوم الذي سبق إعلان دولة بنجلاديش استقلالها عن باكستان، والذين لم يشملهم السجل عليهم أن يُظهروا أو يثبتوا هويتهم الهندية، أو يدخلوا في المعسكرات بعيداً عن أطفالهم وذويهم حتى يحسم أمرهم، وقد تعامل حزب بهاراتيا جاناتا الحاكم مع هذه القضية بانتقام، ولم يتخذ قراراً منصفاً في عشرات الآلاف الذين عاشوا وخدموا الهند سنين طويلة، فمنهم من خدم في الجيش الهندي، ومنهم من تولى مناصب حكومية مرموقة.

وجاءت حملة توثيق الجنسية تحقيقاً لطموحات المنظمات الهندوسية المتطرفة للسيطرة على مناطق المسلمين، وشيطنتهم وابتزازهم، وما يزيد من شراسة هذه الحملة هو تحميل المتهمين باللجوء غير الشرعي مسؤولية إثبات هويتهم وأصولهم الهندية من خلال اثني عشر طريقاً، بدلاً من تحميل المسؤولية للذين ألقوا التهم عليهم، فإن استطاعوا ببعض الطرق إثبات هويتهم لم يغنِ ذلك عنهم شيئاً، بل يبقون في مرتبة اللاجئ غير الشرعي، أو الناخب المشبوه، ولو بحثنا عن أصل هذه الأزمة وجذورها، فسنجدها راسخة في أجندة بهاراتيا جاناتا الذي قلب الحقائق رأساً على عقب، وفرض معايير جائرة لتسهّل له طرق الإبادة الجماعية الصامتة.

أحقاً هؤلاء (المسلمون) كانوا فوضويين حتى تطردهم الحكومة من أراضيهم، أم كانوا جواسيس بنجلاديش حتى يحاصَروا بجيوش لا ترحم؟ فتاريخ هؤلاء الألوف المؤلفة يعود

إلى ما قبل استقلال بنجلاديش عن باكستان، حيث التزموا بأرضهم، ولم يقتنعوا بالذهاب إلى بنجلاديش وطنهم الجديد، بل عاشوا في أراضيهم وأراضي أجدادهم.

إذن، ماذا تهدف الحكومة الهندية من وراء هذا الأمر؟

إنه استفزاز مشاعر المسلمين وابتزازهم فحسب؛ حيث نرى قرى الهندوس في مأمن من هذه الضجة، رغم أن هذه القضية تشملهم أيضاً، لكن بوصلة الحكومة تغيرت نحوهم، بل حاولت تجنيسهم، فما هذه التفرقة في قضية وطنية عامة؟! فالهندوس في أمن وسلام، لا يعكر صفوهم تهديدات حكومية، ولا تزعجهم تلك الخطابات الحنجورية في الوطنية.

وعندما تتعرض المناطق المسلمة لكوارث طبيعية كالفيضانات والانهيارات الأرضية، مكبدة خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، لا تجد اهتماماً من قِبَل الحكومة للإغاثة، ورفع الضرر.

الحكومة تهدف إلى إبادة المسلمين ونفيهم وزجهم في معتقلات قسرية أشبه بزنازين هتلر

المسلمون يشكلون 34 % من سكانها.. والإسلام الديانة الثانية بعد الهندوسية والأكثر نمواً

انقلب سحر السجل على الساحر حيث أخرج آلاف الهندوس الذين توغلوا بالهند في فترة الحروب!

الإسلام في آسام

ربما يجهل الكثيرون أن الإسلام هو الديانة الثانية بعد الهندوسية من حيث العدد في ولاية آسام؛ بل الأكثر نمواً في تلك المنطقة، حيث يشكل المسلمون فيها نسبة 34%، في المرتبة الثانية بعد كشمير في عدد السكان المسلمين، ولهم وجود قوي في بعض المحافظات، مثل: باربيتا، ودارانغ، وهايلكاندي؛ وهو ما جعلها تحت تهديدات بهاراتيا جاناتا، ليشعل فيها صراعات عنصرية دموية، كما حدث في مجزرة «نيلي» عام 1984م، التي قتل فيها أكثر من 30 ألفاً من المسلمين، ومما يجعل وضعها صعباً هو اجتماع الفرق والملل المختلفة ضد المسلمين، من البوذيين والهندوس والقبائل، الذين اتفقوا على هذه الصفقة الجائرة للنيل من المسلمين، ونهب أراضيهم الزراعية.

ورغم كل هذه التهم التي وجّهت نحو مسلمي آسام، وهذه الحملة التشكيكية المتعصبة؛ فإن المسلمين التزموا الهدوء في هذا الجو الملبد، وسعوا إلى إثبات هويتهم العريقة أمام المحاكم الخاصة التي فتحت من أجل هذه القضية، والأمر الذي قلب السحر على الساحر - وفق بعض المصادر- أن السجل الأخير يشكل خطراً كبيراً على الهندوس أكثر من المسلمين، حيث تضمن السجل معظم المسلمين بشكل قانوني، بينما أخرج السجل ذاته آلافاً من الهندوس الذين توغلوا داخل الهند مستغلين بلبلة المنطقة في فترة الحروب بين باكستان وبنجلاديش؛ ما شكّل صدمة لطموحات بهاراتيا جاناتا، حيث أخطأ في خطته المرسومة لبث الرعب في قلوب المسلمين.

ولو عدنا بلفتة سريعة إلى فترة السبعينيات التي تحكي عمق بشاعة هذه الأزمة التي ترسم لنا الصورة الواقعية لخلفيتها الغامضة، يتضح لنا أن حزب بهاراتيا جاناتا لم يكن في فترة من التاريخ من حماة وطنية الهند، ولا من مرابطيها الأوفياء؛ حيث إن حزب «آسام غانا فرشت» الذي يتبنى أفكاراً متطرفة كان في مقدمة الفوضويين في عهد «أنديرا غاندي»، حتى أشعل أتباعه فتنة كبيرة وقتها؛ ثم انقلب هذا الحزب وتدثر في أحضان حزب بهاراتيا جاناتا، وفي ظلال هذه الأحداث والحقائق التاريخية، نجد أن هذه الأزمة وليدة فكرة متعصبة جاءت لتعمق خندق الخلاف وتصطاد في الماء العكر.

يتضح لكل من يتتبع أحداث الهند الأخيرة، أن الحكومة الهندية تستهدف المسلمين تضييقاً وتطويقاً، وتمارس سياسة العنف وبث الذعر، ولا تدخر جهداً منذ وصولها للسلطة في سبيل استهداف المسلمين والتقليل من شأنهم ومكانتهم عالمياً، وقد نجحت في تعتيم هذه العمليات القذرة التي ترفض الحقوق الإنسانية تحت ستار الوطنية ومحاربة الفوضويين، بل استطاعت تهميش الأحزاب المعارضة حتى لا تتدخل في هذه القضايا المتأججة، والأمر الذي جعل بهاراتيا جاناتا يتحرك كما يريد، ويفعل ما يشاء بأريحية؛ هو الاستسلام والصمت المطبق من قبل القيادات والأحزاب المعارضة، ولا غرو إذا قلنا: إن «الوطنية» هي السلاح الأخطر الذي اخترعه صناع الهند الحديثة، وبها يقتلون الشعب، وبها يحيونه.■

الإسلام نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

لم يعد هناك شك في أن النظام الذي أقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمؤمنون معه، بالمدينة -إذا نظر إليه من وجهة مظهره العملي، وقيس بمقاييس السياسة في العصر الحديث- يمكن أن يوصف بأنه نظام «سياسي» بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى، وهذا لا يمنع أن ينعت في الوقت نفسه بأنه «ديني» إذا كانت وجهة الاعتبار النظر إلى أهدافه ودوافعه، والأساس المعنوي الذي يرتكز عليه؛ وذلك لأن حقيقة الإسلام شاملة؛ تجمع بين شؤون الناحيتين المادية والروحية، وتتناول أعمال الإنسان في حياته الدنيوية والأخروية، بل إن فلسفته عامة تمزج بين الأمرين، ولا تعترف بالتمييز بينهما، إلا من حيث اختلاف وجهة النظر.

أما في ذاتيتهما فيؤلفان -كما يقول د. محمد ضياء الدين الريس- وحدة منسقة، وهما متلازمان لا يمكن أن يتصور انفصال أحدهما عن الآخر، وهي حقيقة واضحة لا تحتاج إلى برهان، وهي مؤيدة من التاريخ، وكانت عقيدة المسلمين في كل العصور السالفة، وقد بدأ جمهور المستشرقين يدركها مع عدم قربهم من بيئة الإسلام، ومع ذلك فهناك نفر من أبناء الإسلام ممن ينعتون أنفسهم بأنهم «مجدّدون» يجاهرون بأفكارهم لهذه الحقيقة، ويدّعون أن الإسلام ليس إلا مجرد «دعوة دينية»، من أمثال علي عبدالرازق -القاضي الشرعي السابق بالمنصورة، ثم وزير الأوقاف فيما بعد- في كتابه الذي نشره عام 1925م بعنوان «الإسلام وأصول الحكم»، ومن أقوال هؤلاء المجددين: «الدين شيء، والسياسة شيء آخر» (ص19-20).

آراء المستشرقين:

هذه بعض أقوال علماء الاستشراق صريحة قاطعة، تؤكد علاقة الإسلام بالسياسة، وارتباط الدين بالدولة، مع ملاحظة أنهم على صلة وثيقة بالعصر، وأكثر قدرة على استعمال أساليب البحث الخفية، واستخدام الطرق العلمية:

1 - **يقول «د. فيتز جيرالد»**: «ليس الإسلام ديناً فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضاً، ومع أنه ظهر في العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين، ممن يصفون أنفسهم بأنهم «عصريون» يحاولون الفصل بين الناحيتين، فإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بني على أساس أن الجانبين متلازمان، لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر».

2 - **ويقول «أ. نللينو»**: «لقد أسس محمد في وقت واحد ديناً (Religion)، ودولة (State)، وكانت حدودهما متطابقة طوال حياته.

3 - **ويقول «د. شاخت»**: «على أن الإسلام يعني أكثر من دين، إنه يمثل أيضاً نظريات قانونية وسياسية، وجملة القول: إنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً».

4 - **ويقول «أ. ستروثمان»**: «الإسلام ظاهرة دينية، سياسية، إذ إن مؤسسه كان نبياً، وكان سياسياً حكيماً، أو رجل دولة».

5 - **ويقول «أ. ماكدونالد»**: «هنا -أي في المدينة- تكونت الدولة الإسلامية الأولى، ووضعت المبادئ الأساسية للقانون الإسلامي».

6 - **ويقول «السير توماس أرنولد»**: «كان النبي، في الوقت نفسه، رئيساً للدين ورئيساً للدولة».

7 - **ويقول «أ. جب»**: «عندئذ صار واضحاً أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل، له أسلوبه المعين في الحكم، وله قوانينه وأنظمته الخاصة به».

النظام الذي أنشاه الرسول صلى الله عليه وسلم نظام سياسي بالإضافة إلى كونه دينياً

ستروثمان: الإسلام ظاهرة دينية سياسية إذ إن مؤسسه كان نبياً وسياسياً حكيماً أو رجل دولة

مجتمع سياسي ودولة:

هذه الأقوال تؤيدها وقائع التاريخ، فقد تكوّن إثر ظهور الدعوة الإسلامية «مجتمع» جديد له ذاتية مستقلة تميزه عن غيره، ويعترف بقانون واحد، وتسير حياته وفقاً لنظام واحد، ويهدف إلى غايات مشتركة، وبين أفراده وشائج قوية من الجنس واللغة والدين والشعور العام بالتضامن، ومثل هذا المجتمع الذي تتوافر فيه تلك العناصر هو الذي يقال: إنه «دولة»، أو يوصف بأنه «سياسي».

وهذا المجتمع بدأ حياته الفعلية، وأخذ يؤدي وظائفه، ويحول المبادئ النظرية إلى أعمال، بعد أن استكمل حريته وسيادته، وضم إليه عناصر جديدة، ووجد له موطناً.

لقد ولدت الدولة الإسلامية في وضح النهار بعد بيعتي العقبة؛ حيث تعدّان عقداً تاريخياً يختلف عن العقد الاجتماعي الذي تحدث عنه «روسو» وأمثاله، حيث كان يعدّ وهماً أو خيالاً، أما عقد البيعتين التاريخي فحقيقة يعرفها الناس جميعاً، تمّ فيه الاتفاق بين إرادات إنسانية حرة وأفكار واعية ناضجة من أجل تحقيق رسالة سامية.

ولدت الدولة الإسلامية في وضح النهار، وتم تكوّنها في ضوء التاريخ، وقد أدت هذه الدولة وظائفها السياسية، من إعداد الأداة لتنفيذ العدالة وتنظيم الدفاع، وبث التعليم، وجباية المال، وعقد المعاهدات.. ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك.

حق الاجتهاد:

أما وقد ولدت الدولة وتكونت وأدت وظائفها؛ فقد تحقق شرط وجود التفكير السياسي الذي ستشيد فوقه كل النظريات والمذاهب المتنوعة.

وقد ضمن الإسلام وجود مبدأ حرية التفكير للفرد تفكيراً مستقلاً، والأخذ بالنتائج التي يهديه إليها بحثه غير ملتفت إلا صوت ضميره، وهو ما يعرف في كتب الفقه والأصول باسم «الاجتهاد»، وهو مبدأ انفرد به الإسلام، لم يسبق إليه ولم يلحق به أيضاً إلا بعد مضي عهود طويلة، بعد نحو ألف عام في مطالع عهد النهضة الأوروبية حين بدأت حركة الإصلاح الديني، ونهوض «لوثر» وأتباعه ينادون بحق الفرد في فهم النصوص المأثورة، وتكوين حكم لنفسه، ولم يكن رجال الدين من قبل يسمحون للفرد بهذا الحق أبداً.

حق الاجتهاد سيكون له كبير الخطر في كل ميادين البحث، كما سيكون كبير الخطر في تطور الأفكار وفي توجيه الحوادث على مسرح التاريخ، وفي مجال السياسة -بصفة خاصة- سيكون الروح المحركة أو القوة الدافعة إلى نشوء المذاهب والنظريات والآراء.

الإمامة:

كانت مسألة تفويض الأمر للأمة ناتجة عن حق الاجتهاد، حيث لم يكن في الإسلام ما يعرف لدى الأوروبيين بـ«الدوجما» (Dogmas)؛ أي المعتقدات الجامدة، ورأى المتكلمون والفقهاء أن مسألة الإمامة تدخل في اختصاص علم الفقه لا علم الكلام، وهي من الفروع التي هي محل الاجتهاد.

اجتماع السقيفة:

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وجد المسلمون أنفسهم ورثوا دولة؛ أي نظاماً سياسياً، وأقر لكل فرد منهم بحق التفكير والبحث في شؤون هذه الدولة، ولم تُفرض عليهم قيود تمنعهم من استعمال هذا الحق والبلوغ به إلى غايته.

كان اجتماع السقيفة أشبه بجمعية وطنية أو تأسيسية بحثت في أمور أمة لأجيال عديدة لاحقة، وتضع لها دستوراً يكون أساساً لحياتها في المستقبل، وكانت أكبر نتيجة لهذا الاجتماع قيام «نظام الخلافة» الذي بقي بصورة وأخرى إلى القرن العشرين الميلادي (الثالث عشر الهجري).

وفي هذا الاجتماع، يمكن تلخيص أهم النظريات التي عرضت فيه:

أولها: نظرية الدفاع عن دعوى الأنصار في استحقاقهم للخلافة على أساس أنهم آووا ونصروا ودافعوا عن الإسلام بأنفسهم وأموالهم، وهم أصحاب الدار.

وثانيها: نظرية حق المهاجرين، وأولويتهم في استحقاق الخلافة على أساس أنهم أول من عبَدَ الله في الأرض، وهم أولياء الرسول وعشيرته، وصبروا معه على شدة الأذى والتكذيب.. ثم هناك تنويه بفضل قريش «الأئمة من قريش».

وثالثها: نظرية اقتسام السيادة أو تعدد الإمرة التي دعا إليها الحباب بن المنذر؛ «منا أمير.. ومنكم أمير».

ولكن المجتمعين في النهاية أقروا مبدأ خطيراً؛ هو أن اختيار رئيس الجماعة أو الدولة إنما هو بالبيعة؛ أي بالانتخاب، ونبذوا جميعاً بسلوكهم الفعلي مبدأ «الوراثة».

تعد بيعتا العقبة عقداً تاريخياً حقيقياً يختلف عن العقد الاجتماعي الوهمي الذي تحدث عنه روسو وأمثاله

اجتماع سقيفة بني ساعدة كان أشبه بجمعية وطنية بحثت أمور الأمة لأجيال لاحقة ووضعت لها دستورها

شهادة طه حسين:

طه حسين ليس من علماء الدين، ويعرف الثقافة الغربية وعناصرها جيداً، وتبرز شهادته هنا لتقدم لمن ينكرون العلاقة بين الدين والسياسة درساً علمياً مفيداً، يقول: «وما رأيك في أن الإنسانية لم تستطع إلى الآن، على ما جربت من تجارب، وبلغت من رقي، وعلى ما بلغت من فنون الحكم، وصور الحكومات، أن تنشئ نظاماً سياسياً يتحقق فيه العدل السياسي والاجتماعي بين الناس؛ على النحو الذي كان أبو بكر، وعمر، يريدان أن يحققاه..» (الفتنة الكبرى1، عثمان، ص6).

دولة عالمية:

لقد تحولت الحكومة الإسلامية في عهد النبوة -كما يقول د. محمد ضياء الدين الريس- من دولة مدنية محصورة بمدينة إلى دولة عالمية، لا نقول إمبراطورية، لأن هذا الوصف يتضمن معانيَ من القهر والقوة والجبروت (قديماً كانت هناك دولة مدينة، مثل: أثينا، إسبرطة، روما..).

ومن المعروف أن العهود المثالية قصيرة الأمد، والأجيال التالية تختلف عن الجيل الأول الذي نهض حاملاً أعباء الدعوة الجديدة، مستمسكاً بالمثل العليا، مجاهداً في سبيل تحقيقها.

ولأن الأجيال التالية ليست لها خصائص الجيل الأول، وتعيش تحولات جديدة في الظروف الاجتماعية والطبيعة البشرية، فإن النتائج تتغير تبعاً لتغير المقدمات.■

إشكالية العدالة بين الشريعة والقانون الوضعي

يؤدي القانون دوراً محورياً في الدول الحديثة، فهو الأساس الذي تتشكل حوله المؤسسات، وينظم علاقاتها، ويكفل عدم التداخل في مهامها، وهو الأساس الذي ينظم علاقة الدولة بمواطنيها، ويفصل بين المواطنين، وينظم دائرة العدالة؛ ولذلك اعتبر مبدأ «سيادة القانون» المبدأ الذي لا يجوز أن يتقدمه مبدأ آخر في الدولة القومية الحديثة.

ولم يكن القانون يشغل مثل تلك المكانة في القرون الخالية، ففي معظم المجتمعات كان القانون تعبيراً عن إرادة الحاكم ومشيئته، ومجرد أداة للفصل في النزاعات بين الأفراد، وأما في المجتمعات الإسلامية التي ساد فيها القانون المستمد من الشريعة، فلم يكن القانون تعبيراً عن إرادة الحاكم بقدر ما كان تعبيراً عن خضوع الحاكم لإرادة الشريعة، ذلك أنه ما كان بمقدور أي أحد سن قانون يخالف الشريعة أو يحل محلها.

د. فاطمة حافظ
كاتبة وباحثة في التاريخ

من أسباب إقصاء القانون الإسلامي توجه النخب الحاكمة نحو تحديث الدول الإسلامية وفق قواعد حداثية مقتبسة من الغرب

التطور القانوني في العالم الإسلامي:

ظل القانون المستمد من الشريعة قائماً ويُعمل به في المجتمعات الإسلامية طيلة ثلاثة عشر قرناً دون مشكلات تطبيقية؛ وبالتالي لم تكن هناك مطالبات بتعديله أو تغييره، إلا أنه منذ ما يربو على قرن حدثت سلسلة من التغييرات التي أفضت إلى إقصاء «القانون الإسلامي»[1]، وحلول القوانين الوضعية محله، وتقف وراء ذلك عوامل عديدة لا يتسع المقام لذكرها، وأكتفي هنا بالإشارة إلى عاملين؛ أحدهما: توجه النخب الحاكمة نحو تحديث الدول الإسلامية وفق أسس وقواعد حداثية مقتبسة من الغرب، واقتباس النظم والأفكار الغربية لتحل محل مثيلاتها الإسلامية، وأما الآخر فهو: الاستعمار «الكولونيالي» الذي حل بالعالم الإسلامي، ولم يكن أمامه بُد سوى صياغة قوانين تيسّر له عملية النهب الاستعماري الذي هو أقل كلفة مادية من الدخول في مواجهات مباشرة مع السكان المحليين.

واجه رجال الإدارة الاستعمارية صعوبة في التعامل مع القانون الإسلامي؛ بسبب الجهل بالمصطلحات الشرعية في المجال القانوني، واختلاف وسائل الثبوت الجنائي المتمركزة حول الشهادة عن المنظومة الوضعية المتمركزة حول القرائن المادية والعقلية، والجهل بالعقوبات الشرعية، وتباين إجراءات التقاضي، واختلاف دور القاضي الشرعي عن القاضي الوضعي.

لقد اعتبر المستعمرون -وخصوصاً البريطانيين في الهند- أن القانون الإسلامي بصورته الكلاسيكية المتوارثة لا يصلح أساساً لإقامة العدالة، وخاصة في شقه الجنائي، وتركزت الانتقادات في أنه «تشريع تعسفي» لا يضع في باب التعازير والسياسة تعريفات محددة للجنايات[2]، وأن العلاقة بين الجريمة والعقوبة تتسم بالمرونة وليست صلبة، كما هي الحال في القوانين الوضعية التي تحدد لكل جريمة عقوبة ثابتة لا تتخطاها، ومسألة الصلح المالي بين الجاني والمجني عليه أو ورثته؛ لأنه يكفل تسوية النزاع بإرادة طرفي النزاع لا إرادة الدولة ممثلة في هيئتها القضائية، وعدّوه إخلالاً بمبدأ «سيادة القانون»، كما انتقدوا ما أسموه «عدم المساواة القضائية» الذي يقضي باختلاف العقوبة حسب وضعية الجاني، وركزوا انتقاداتهم على العقوبات البدنية، واعتبروا السجن عقوبة أرقى من تلك العقوبات التي تهدر الكرامة الإنسانية للجاني، وأقدر على تحقيق الزجر[3].

وعلى خلفية هذه الانتقادات، جرت محاولات لـ«إصلاح» القانون الإسلامي في معظم البلدان الإسلامية، واتخذت ثلاثة مسارات:

الأول: تقنين الفقه الإسلامي، من خلال انتقاء بعض نصوصه وعزلها عن بقية أجزاء المدونة الفقهية ووضعها في صيغة قانون عصري حديث، كما هي الحال في الهند وإندونيسيا والجزائر.

الثاني: محاولة المزج بين القانون الإسلامي والقانون الوضعي في صيغة قانونية واحدة، وأقدمت عليها النخب الحاكمة في مصر والدولة العثمانية.

الثالث: إحلال القوانين الوضعية محل القانون الإسلامي في معظم البلدان الإسلامية، بحيث لم يعد سوى بلدان قليلة تحكمها الشريعة في يومنا هذا[4].

والسؤال الذي يمكن طرحه بعد إخفاق

المسارات الثلاثة هو: هل كان القانون الإسلامي في بنيته النظرية، وصيغته التطبيقية، عاجزاً عن تحقيق العدالة في المجتمعات الإسلامية؟ وهل ما زال يحمل وعد العدالة للمجتمعات المعاصرة؟

والإجابة تحتاج الحديث عن فلسفة العقوبة الإسلامية من جهة، كما تستدعي المقارنة مع القانون الوضعي في مسألة الأدوات العقابية، من جهة أخرى.

فلسفة العقوبة في التشريع الإسلامي:

العقوبة هي حجر الزاوية في أي منظومة قانونية، شرعية كانت أم وضعية؛ لأنها أداة تحقيق العدالة وتحويلها من إطارها النظري إلى إجراءات واقعية ملموسة، والغرض منها تأديب المذنب، وردع غيره، وصيانة نظام الجماعة، وفي هذا يقول بعض الفقهاء: «إنها موانع قبل الفعل، زواجر بعده»، وهم يميزون بين ثلاثة أنواع من العقوبات، وهي: الحدود، والقصاص، والتعازير، ويعرفون الجريمة لذلك بأنها «كل فعل نهى عنه الشارع بحدّ أو قصاص أو تعزير»، وهناك مبادئ أساسية تحكم السياسة العقابية الشرعية، يمكن إجمالها في الآتي:

- **شرعية الجرائم والعقوبة:** يشترط لاعتبار الفعل جريمة نهي الشارع عنه بحدّ أو قصاص أو تعزير، ولا يعد الفعل جريمة إلا بتوافر شرطين؛ نهي الشارع عنه، وأن يكون الشارع قد رتب له عقاباً بالحد أو القصاص أو التعزير، وعليه ليس لأحدهم أن يسنّ قانوناً يحرّم فيه ما لم يحرمه الله تعالى ويفرض له عقوبة، أو يسقط اسم الجريمة على فعل جرّمه الله تعالى، وفق هواه.

- **المرونة العقابية:** كما أسلفنا ليس الغرض من العقوبة هو الانتقام من الجاني، وإنما إصلاحه وإعادة دمجه في المجتمع، ولذلك تختلف العقوبات وتتنوع باختلاف الأشخاص، فتأديب أهل الصيانة يختلف عن تأديب أهل البذاءة والسفاهة، لقول الرسول صلوات الله عليه: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»، ولاختلاف أحوال الناس في الزجر وجب أن تتنوع العقوبات وتتفرع، وقد اتفق الفقهاء على أن العقوبات الشرعية تبلغ ثلاث عشرة عقوبة، وهي مرتبة من الأدنى للأعلى:

الإدارة الاستعمارية واجهت صعوبة في التعامل مع القانون الإسلامي بسبب الجهل بالمصطلحات الشرعية واختلاف وسائل الثبوت الجنائي

التوبيخ، الزجر، التشهير، النفي أو التغريب، الحبس، الجلد، قطع اليد اليمنى، القطع من خلاف، قصاص ما دون النفس (قطع بعض أعضاء الجاني أو جرحه أو فقء عينه إذا تعمد إيذاء شخص بمثلها)، القتل وهو على ثلاثة أصناف (القتل قصاصاً، القتل رجماً، القتل صلباً)، هذا خلافاً للعقوبات غير المنصوص عليها أو ما اصطلح على تسميتها بالعقوبات التكميلية، وهذا التنوع الكبير في العقوبات يغاير العقوبات الوضعية التي هي عقوبات محدودة صيغت بحيث تناسب كافة أنواع الجرائم دون إدراك لخفة الجريمة أو جسامتها، ودون مراعاة لحال المذنب ووضعيته.

- **سلطة القاضي التقديرية:** يتمتع القاضي في المنظومة القضائية الإسلامية بسلطة تقديرية واسعة، لكن هذا لا يعني تمتعه بسلطة تحكمية مطلقة، فالعقوبات كما أسلفنا هي: حدود وقصاص وتعازير، فأما الحدود والقصاص فهي عقوبات مقدرة معينة، ليس للقاضي حيالها من سلطان إلا أن يحكم بتطبيقها كلما كانت الجريمة ثابتة، دون أن يستطيع تخفيفها أو تشديدها أو استبدالها، أما التعازير فسلطة القاضي فيها واسعة نسبياً، لكنها ليست تحكمية؛

المستعمرون خاصة البريطانيين اعتبروا أن القانون الإسلامي بصورته الكلاسيكية لا يصلح أساساً لإقامة العدالة

هل كان القانون الإسلامي في بنيته النظرية وصيغته التطبيقية عاجزاً عن تحقيق العدالة في المجتمعات الإسلامية؟

لأن الشريعة تترك له حرية اختيار العقوبة المناسبة للجريمة والمجرم، وتترك له تقدير كمية العقاب بين حدي العقوبة الأدنى والأعلى، وهو يختار بينها وفق اعتبارات محددة، في مقدمتها الاعتبار الأخلاقي، وهل الجاني من أهل الصلاح أم الفساد[5].

- **أولوية الصلح:** تمثل مقولة «الصلح سيد الأحكام» تقليداً إسلامياً عريقاً، فهو يعكس النظرة المتجذرة إلى أن التحكيم والوساطة ليسا جزءاً من العملية القضائية، وإنما يتفوقان عليها، وقد أدى التحكيم دوراً لا يُنكر في تسوية نوعين من النزاعات؛ أولهما: النزاعات الأسرية والعائلية التي تنطوي على أمور حميمية وخاصة ينبغي حجبها عن أعين العامة، وثانيهما: الجنايات؛ حيث كان الجاني يقوم بتسديد مبلغ مالي للمجني عليه أو ورثته نظير تسوية النزاع بصورة ودية، وهذا التعويل على التحكيم ومشاركة القضاة فيه كان يعني أن المحكمة جزء من النسيج الاجتماعي العام، وليست مؤسسة فوقية معزولة عن المحيط الاجتماعي العام، الذي يحاول إيجاد تسوية تفتح المجال أمام الأطراف المتنازعة لاستعادة علاقاتهم الاجتماعية قبل نشوب النزاع[6].

- **المساواة العقابية:** الأصل في العقوبة أن تكون عامة، تقع على كل الناس مهما اختلفت أقدارهم، بحيث يتساوى أمامها الحاكم والمحكوم، والغني والفقير، وهذه المساواة تكون في جرائم الحدود والقصاص؛ فكل شخص ارتكب الجريمة عوقب بها وتساوى مع غيره في نوع الجريمة وقدرها، أما في جرائم التعازير فالمساواة غير مطلوبة، وهذا ليس عيباً في التشريع الإسلامي، كما يتوهم بعضهم، وإنما هو عين العدالة؛ ولنضرب لذلك مثالاً بالقانون الجنائي المصري المستوحى من الشريعة الذي طُبّق في أواسط القرن التاسع عشر، وميّز في العقوبة بين كبار رجال الإدارة في الريف وصغار الموظفين، وجعل عقوبة الصنف الأول ضعف عقوبة الصنف الثاني عن ذات الجريمة، وهذا التمييز أقرب إلى تحقيق معنى العدل؛ إذ لا يستقيم مساواة المدير الإداري بالموظف الذي لا يملك من أمره شيئاً ولا يسعه مخالفة أمر رئيسه[7].

- **ذاتية العقوبة:** تحدث الفقهاء عن مبدأ ذاتية العقوبة، فاشترطوا في العقوبة أن تكون شخصية تصيب الجاني ولا تتعداه

إلى غيره، وجاء اختيارهم للعقوبة وفق هذا الأساس، فجنحوا إلى العقوبات البدنية باعتبارها غير متعدية، وأكثرها توقيعاً كان الجلد، ولكنه لم يكن يجري بدون ضوابط، فاشترطوا أن يكون ضرباً متوسطاً بين المؤلم والجارح؛ حتى لا يفضي بالمذنب إلى الموت، وأن يكون حسب ما يتحمله جسمه، وألا يتجاوز تسعاً وسبعين جلدة.

وأما عقوبة السجن، فرغم كونها عقوبة شرعية، فإنها استخدمت على نطاق محدود -في حالات الدَّين- وكانت تُطبَّق لمدد يسيرة تتراوح بين يوم وبضعة أشهر، وحين ننظر لعقوبة السجن اليوم نجد أن بها مساساً بمبدأ ذاتية العقوبة الذي تحرص النظم القانونية الحديثة على احترامه؛ إذ يتعدى أثرها إلى دائرة أهل الجاني، ولعل هذا ما يفتح المجال أمام الحديث عن التطور العقابي في العالم الغربي ودواعيه وآثاره.

عصر ازدهار السجون:

عُرف العقاب البدني لدى جميع الحضارات والشعوب تقريباً، وظل هو العقاب الأكثر شيوعاً وتطبيقاً حتى أوائل عصر الحداثة الأوروبية، ويقص علينا «ميشيل فوكو» في مفتتح كتابه «المراقبة والعقاب: ولادة السجن» صوراً ومشاهد مروعة لكيفية تطبيق العقوبات البدنية في إنجلترا وفرنسا بالقرن الثامن عشر، وما صاحبها من مشاهد تعذيب وتنكيل بالضحايا.

ولكن مع انتصاف القرن التالي، بدأ المفكرون الغربيون أمثال «بنتام» يشعرون بضرورة التخلي عن مشاهد التعذيب التي تصيب أفراد المجتمع بالهلع، وبدأ التفكير في ضرورة تطوير النظام العقابي، بحيث يغدو أقل وحشية وتسلطاً على الجسد، وأن يطال جوانب أخرى كالفكر والإرادة، وهو ما عبر عنه «مابلي» بقوله: «فليتناول القصاص -إن أمكنني أن أتكلم هكذا- الروح قبل الجسد»، ولم يكن أفضل من السجن بديلاً لتلك العقوبات التي استشعر الغربيون منها الخجل، التي كانت تتنافى مع ادعاءات «الأنسنة» للحضارة الغربية في المستعمرات.

وبغض النظر عن هذه الادعاءات، فقد بدا أن السجن يمكن أن يسمح بمراقبة السجين الدائمة، وإحكام السيطرة على تحركاته

ليس الغرض من العقوبة في القانون الإسلامي الانتقام من الجاني وإنما إصلاحه وإعادة دمجه بالمجتمع

من سلبيات القانون الوضعي تعدي العقوبة إلى آخرين لمجرد الكفالة

وجعلها أكثر انضباطاً وخضوعاً للتوجيهات، مع إجباره على ممارسة بعض العبادات، والاستماع إلى بعض العظات والإرشادات، وعبر تلك الوسائل يعاد تشكيل الوعي والسلوك للسجين وفق أسس جديدة، ويغدو شخصاً آخر حال خروجه من السجن[8].

وقد لقي هذا الانقلاب في فلسفة العقاب وأدواته قبولاً عالمياً واسعاً، باعتباره أكثر إنسانية وأقل إيلاماً حتى عقود قليلة ماضية، حين أخذت سلبيات السجن تتكشف، فالسجين الذي يتم إيداعه السجن يخرج وقد تأصلت فيه النزعة الإجرامية، وشرع في ممارسة أعمال انتقامية بحق أفراد الهيئة الاجتماعية، كما تضاعفت أعداد نزلاء السجون، وتم بناء المزيد منها، ومن هنا بدأت الأصوات منذ عقد السبعينيات بالقرن الماضي تنادي بإعادة النظر في عقوبة السجن، ونقد النظام العقابي الحديث بأسره.

ففي فرنسا تأسست مجموعة معلومات السجن من مجموعة من كبار المفكرين الفرنسيين للدفاع عن المسجونين، ونقد فلسفة العقاب الحداثية، ثم نشر «فوكو» كتابه «المراقبة والعقاب»، وألقى سلسلة من المحاضرات حول عدم جدوى السجن ووحشيته، ثم امتدت إلى الولايات المتحدة، ونشرت «أنجيلا ديفيز» كتابها «هل انتهت صلاحية السجون؟»، وتأسست أيضاً مجموعات للدفاع عن السجناء، ومما يلفت الانتباه في الحالة الأمريكية ارتباطها بالمسألة العنصرية، حيث تشير الإحصاءات إلى وجود شخص واحد زنجي من بين كل ثلاثة أشخاص ضمن مؤسسات الاحتجاز[9].

دفع ازدياد أعداد نزلاء السجون، وشيوع ظاهرة تمرد السجون وغيرها، علماء الاجتماع الغربيين إلى إنشاء فرع جديد لعلم الاجتماع هو «علم اجتماع السجون»؛ لمعالجة الظواهر المصاحبة للسجن التي استفحلت ولم يعد يجدي معها أي حل، ومع تزايد الإشكاليات التي يطرحها السجن، لم يعد مقبولاً القول: إنه يعد أرقى من العقاب البدني، وإنه أقدر على تحقيق العدالة وإصلاح السجناء وتقويمهم وإعادة تأهيلهم ودمجهم في البنية الاجتماعية، ومن ثم ينبغي التفكير في استحداث وسائل عقابية جديدة، أو استدعاء الوسائل القديمة مع تهذيبها وتقنينها، بحيث ينتفي عنها صفة التعذيب أو الانتقام لتلافي سلبيات عقوبة السجن.

مما سبق، يبدو لنا أن القانون الإسلامي المستمد من الشريعة لم يكن فاقداً للصلاحية، وكان قادراً على تحقيق العدالة في المجتمعات الإسلامية، وأن ما يشاع عن أن بنيته النظرية وأدواته العقابية تجاوزها الزمن ليس دقيقاً، بل أنه لا يزال من خلال هذه البنية المرنة والأدوات «الرحيمة» قادراً على إنجاز وعد العدالة في المجتمعات المعاصرة.■

الهوامش

(1) أعني بالقانون الإسلامي الأبواب القانونية ضمن الفقه الإسلامي، مثل: الجنايات والحدود والأبواب الاقتصادية وغيرها التي طبقتها المحاكم الشرعية، وبهذا المعنى فهو يشمل النصوص النظرية والممارسات التطبيقية.

(2) قصد الفقهاء من وراء ذلك أن يظل المجال مفتوحاً لإضافة جرائم مستحدثة لم يعرفوها في زمانهم.

(3) انظر تفصيلات أوسع حول موقف الإدارة الاستعمارية الغربية من القانون الإسلامي في: وائل حلاق، مدخل إلى الشريعة الإسلامية، ترجمة: طاهرة عامر، فهد حسنين، مدخل إلى الشريعة الإسلامية، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2017، ص 155-168.

(4) رودولف بيترز، الجريمة والعقاب في الشريعة، ترجمة محمد سعد كامل، بيروت: عالم الكتاب، 2018، ص 153-155.

(5) عبدالقادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، بيروت: دار الكتاب العربي، ج1، ص 629-630.

(6) وائل حلاق، مرجع السابق، ص 118-120.

(7) فاطمة حافظ، الشريعة والقانون في مصر الحديثة: القانون الهمايوني نموذجاً https://bit.ly/2mmQ3S1

(8) ميشيل فوكو، المراقبة والعقاب: ولادة السجن، ترجمة: علي مقلد، بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990.

(9) تامر موافي، تقييم المؤسسات العقابية: دروس من التجربتين الفرنسية والأمريكية، إسطنبول: المركز المصري للدراسات، 14 مارس 2014.

بعد مسيرة حافلة بالعطاء الدعوي والتربوي..

رحيل المربي والمفكر مصطفى الطحان أحد أعلام الدعوة الإسلامية

سيف الدين باكير

رحل الداعية والمفكر الإسلامي مصطفى الطحان، الأربعاء 25 سبتمبر الماضي، في إسطنبول، عن عُمْر 79 عاماً، بعد مسيرة حافلة بالعطاء الدعوي والتربوي.

ولد مصطفى محمد الطحان في بلدة «كوشا» بلبنان عام 1940م، وحصل على شهادة الماجستير في الهندسة الكيميائية من جامعة إسطنبول عام 1964م، وبعد إتمام دراسته عمل بالكويت في قسم التكرير بشركة النفط حتى العام 1979م.

ساهم الراحل في تأسيس الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية عام 1969م، وانتخب عضواً في الأمانة العامة في الدورات 1969، 1971، 1975، 1977م، وانتخب أميناً عاماً للاتحاد في يوليو 1980م.

كما أشرف على مشروع الكتاب الإسلامي وترجمته إلى أكثر من 70 لغة ضمن سلسلة كتب الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، وأشرف على إصدار مجلة «الأخبار» باللغتين العربية والإنجليزية منذ صدورها عام 1969م.

كما شارك في تأسيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض، وتم اختياره عضواً في الأمانة العامة للندوة، وشغل منصب الأمين العام لاتحاد المنظمات الطلابية (SOU).

له عدة مؤلفات في الفكر والحركة، تمت ترجمة بعضها إلى عدة لغات كالإنجليزية والتركية والأوردية والإندونيسية والكردية والفارسية والفلبينية والمالوية.. وغيرها.

ومن أبرز مؤلفاته: «تحديات سياسية تواجه الحركة الإسلامية»، «تربية الأبناء وفق منهج النبوة»، «التربية ودورها في تشكيل السلوك».

فقيد العمل الإسلامي

وترحم عدد من المفكرين والبرلمانيين والكتاب والدعاة على الفقيد، وقال رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للبرلمانيين عبدالمجيد مناصرة: لا يسعنا في هذا المقام الجلل، باسمي الخاص ونيابة عن أعضاء المنتدى الإسلامي العالمي للبرلمانيين، إلا أن ندعو له بالرحمة والمغفرة، وينزل على روحه الطاهرة شآبيب رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح الجنان، ويلهم ذويه وإخوانه وتلامذته جميل الصبر والسلوان، و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

ونعى النائب الكويتي أسامة الشاهين، عبر حسابه على «تويتر»، الفقيد، قائلاً: رحم الله فقيد العمل الإسلامي -التربوي والفكري والطلابي- الشيخ مصطفى الطحان بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، استقر في الكويت منذ ستينيات القرن الماضي، وتنقل في أقطار العالم مربياً وموجهاً النشء.

وقال الكاتب الفلسطيني علي البغدادي، على صفحته في «فيسبوك»: رحم الله الأستاذ والمربي والمفكر الداعية مصطفى الطحان، رحل عنا قبل أن نستكفي من عطائه.

وأضاف: عايشته فترة طويلة، وكنت قريباً منه، وتعلمت منه أن العمل عبادة، وأن النشاط وخدمة الناس من أرقى الأعمال، وفي الحركة بركة، والداعية العامل يفوق الساكنين درجات ودرجات، والوقت هو أغلى ما نملك، ولا وقت عندنا نضيعه في السفاسف، والتفاؤل بمستقبل الإسلام والتبشير به فرض وواجب، ووطن المسلم عقيدته، وحيثما ذكر اسم الله في بلد عددت أرجاءه من صلب أوطاني.. وكان هذا حقيقة لا شعاراً.

وتابع: تعلمت منه أيضاً أن العصبيات الوطنية دعوات عنصرية مقيتة، وأدنى درجات العنصرية ما كان متلبساً بالدين، والانشغال بالأعمال اليومية لا يعوق احترام الناس والتواصل معهم، ومن يهمل الرد على الرسائل التي تصل إليه لا يستحق الريادة، والقراءة في كل المجالات زاد مهم، وفارغ العقل والفكر فارغ من كل شيء، وأن يزكي الإنسان من علمه، ولا يسترزق الإنسان من كتاباته وخطبه.

ونشرت رابطة الطلاب المسلمين في لبنان عبر صفحتها على «فيسبوك»: تنعى إليكم رائد العمل الطلابي الإسلامي العالمي د. مصطفى الطحان، الذي وافته المنية في مدينة إسطنبول، بعد عُمْر مديد قضاه في العمل الإسلامي، وتدعو الله أن يتقبله، وأن يلهم أهله ومحبيه وطلابه الصبر والسلوان.

وتتقدم مجلة «المجتمع» باسم رئيس تحريرها الأستاذ محمد سالم الراشد، والعاملين فيها، بخالص العزاء وصادق المواساة لأسرة الفقيد ولتلاميذه والأمة الإسلامية، سائلين المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته، وأن يلهم أهله وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.■

سوار الذهب والألباني والقحطاني ودوح والصوري

إن تناول حياة الرجال العظماء الذين رسخوا قواعد دعوة الإسلام المعاصرة، ليست مادة تطرح من أجل الاطلاع أو التسلية، بل للتأمل، والتعلم، والاعتزاز بوجود مثل هؤلاء الذين أشعلوا مصابيح الهدى لتنير لشعوبهم ظلمات الطريق.
ولقد أطفئت سرج بعض هؤلاء العلماء في مثل هذا الشهر (أكتوبر) ومن هؤلاء:

إعداد ◻ عبده دسوقي:
باحث في التاريخ الحديث

سوار الذهب.. رجل السياسة والعمل الخيري

سلم السلطة للشعب عن رضا وهو في أوج قوته ورفض أن يكون بديلاً للنميري ليصبح أميراً للقلوب

لم يكن عبدالرحمن سوار الذهب من الشخصيات التي تموت فيختفي أثرها، بل سطر قبل مماته أفعالاً من نور ستظل محفورة في قلوب ووجدان أجيال قادمة.

في ربوع مدينة هادئة؛ حيث الأعشاب والحشائش المخضرة والأشجار المورقة، وارتفاع ملحوظ لدرجات الحرارة، ولد عبدالرحمن محمد حسن سوار الذهب عام 1354هـ/ 1934م، بمدينة «الأبيض» في شمال كردفان بالسودان.

تخرج سوار الذهب ضابطاً في القوات المسلحة السودانية يوم 8 أكتوبر 1955م، وتدرج في الرتب العسكرية حتى وصل إلى رتبة «فريق أول» بالقوات المسلحة السودانية، ثم رتبة «المشير»، وشغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش السوداني، ثم أصبح وزيراً للدفاع عام 1985م.

في عام 1972م، استبعده الرئيس السوداني حينها جعفر النميري من الخدمة العسكرية دون سبب، فتوجه إلى دولة قطر ليعمل مستشاراً عسكرياً لأميرها، فكان أول من فصل الجيش ومهامه عن الشرطة القطرية.

وبسبب الفضائح التي لاحقت النميري، عاد سوار الذهب للجيش السوداني الذي ناصر ووقف بجانب الشعب في ثورته ضد النميري عام 1985م، غير أن سوار الذهب –الرجل الأول في الدولة– أعلن تسليمه السلطة للشعب، وأنه لن يكون بديلاً للنميري؛ فسلم السلطة عن رضا وهو في أوج قوته، ليصبح أميراً للقلوب وداعية يجوب البلاد لنشر سماحة الإسلام.

بعد أن تفرغ من السياسة وأعبائها، أصبح من أشهر الشخصيات الفعالة في مجال الدعوة والعمل الخيري؛ محلياً وإسلامياً وعالمياً، حيث حقّق إنجازات مهمة من خلال رئاسته لمجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان، التي شيّدت الكثير من المدارس والمستشفيات والمستوصفات ومراكز الطفولة وملاجئ الأيتام والمساجد، كما أنشأت محطات للمياه، وحفرت مئات الآبار في أفريقيا، بل حاول قدر الإمكان المساهمة بوساطته حين كانت تضرب الأزمات السودان؛ مثل أزمة دارفور، وطرح مبادرة للوصول إلى حل في هذا الأمر.

ونتيجة لمشاركاته ونشاطه في مجال العمل الخيري والدعوي، مُنح جائزة «الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام» عام 2004م.

رحل سوار الذهب صباح الخميس 9 صفر 1440هـ، الموافق 18 أكتوبر 2018م، بالعاصمة السعودية الرياض، وكان قد أوصى بأن يُدفن في المدينة المنورة.■

سعيد القحطاني.. صاحب «حصن المسلم»

الشيخ سعيد بن علي بن وهف القحطاني، صاحب أشهر كُتيّب في العالم الإسلامي «حصن المسلم»، الذي طبع منه ملايين النسخ في العالم، ويحتوي على جوامع الدعاء بعد اختيارها في عمليَّة تنقيب وتمحيص نادرة.

ولد الشيخ القحطاني ببادية وادي العرين في وادي الإسلي بجبال السود شرقي مدينة أبها بمنطقة عسير عام 1953م، ودرس في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم تخرَّج فيها عام 1984م، وواصل دراساته العليا حتى حصل على الدكتوراه عام 1998م، برسالة عنوانها «فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري».

انشغل الشيخ القحطاني منذ صغره بالعلم والدعوة والتحصيل العلمي، وبلغت مؤلَّفاته قرابة 80 مؤلفاً، وبعضهم يقول: 130 مؤلفاً، وقد تُرجمت بعضها إلى لغات أجنبية، أبرزها كتاب «حصن المسلم» الذي تُرجم إلى 44 لغة أجنبية، وحصل على 3 إجازات في القرآن الكريم.

توفي يرحمه الله يوم الإثنين 21 محرم 1440هـ/ 1 أكتوبر 2018م بعد معاناة مع المرض، وشُيّع من مسجد الراجحي إلى مقبرة النسيم بالرياض في مشهد جنائزي كبير يدلّ على مكانة الرجل وحبّ الناس له.■

ناصر الدين الألباني.. محدّث العصر

ولد الشيخ الألباني رحمه الله في عام 1914م، بمدينة أشقودرة عاصمة ألبانيا يومئذ، ونشأ في أحضان أسرة متواضعة متدينة، هاجر الألباني بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها، بعد أن انحرف أحمد زاغو (ملك ألبانيا) ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية.

أتم دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق، ونظراً لرأي والده الخاص في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقد قرر عدم إكمال الدراسة النظامية، ووضع له منهجاً علمياً مركّزاً قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي.

أخذ عن أبيه مهنة إصلاح الساعات فأجادها، حتى صار من أصحاب الشهرة فيها، وقد وفرت له هذه المهنة وقتاً جيداً للمطالعة والدراسة.

توجه الألباني إلى علم الحديث وهو في العشرين من عمره، متأثراً بأبحاث مجلة «المنار» التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا.

في أوائل عام 1960م، كان الشيخ يقع تحت مرصد الحكومة السورية، مع العلم أنه كان بعيداً عن السياسة، وقد سبب ذلك نوعاً من الإعاقة له، فقد تعرض للاعتقال مرتين؛ الأولى كانت قبل عام 1967م لمدة شهر في قلعة دمشق، وهي نفس القلعة التي اعتقل فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وعندما قامت حرب عام 1967م رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين.

لكن بعدما اشتدت الحرب عاد الشيخ إلى المعتقل مرة ثانية، في سجن الحسكة شمال شرقي دمشق، لمدة ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق «مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري»، واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل.

عانى في أيامه الأخيرة من عدة أمراض، وكان صابراً محتسباً، وقد نحل جسمه كثيراً، وتوفي رحمه الله عصر السبت 2 أكتوبر 1999م، ودفن بعد صلاة العشاء.■

حسن دوح.. مجاهد من جيل فريد

حسن محمد حسن إبراهيم دوح الذي عرف وسط الجامعات المصرية بخطيب الثورة المفوه، ومشعل جذوة الحماسة في نفوس الجميع، ولد في أكتوبر عام 1921م، في قرية طفنيس المطاعنة مركز إسنا بمحافظة قنا في صعيد مصر؛ وحفظ القرآن الكريم بكتّاب قريته، والتحق بالمدرسة الابتدائية بإسنا، ثم تلقى تعليمه الثانوي بمدرسة سوهاج الثانوية، وأنهاه بمدرسة السعيدية الثانوية بالقاهرة، قبل أن يلتحق بعدها بكلية الحقوق جامعة القاهرة عام 1944م، ولظروف اعتقاله حصل على الليسانس عام 1954م.

عمل في مجال الصحافة، قبل أن يسافر إلى دولة الكويت ويعمل خبيراً قانونياً بوزارة المالية والنفط حتى عام 1979م (تاريخ عودته إلى بلاده).

التحق بجماعة الإخوان المسلمين، وأصبح أحد قادتها في الجامعة، وحمل على عاتقه معركة الجهاد، حتى إن والده عام 1948م أخذه من يده وذهب به إلى الشيخ حسن البنا ليقول له: «هذا ابني ليجاهد»، فأصبح أحد قادة المجاهدين الإخوان على أرض فلسطين، إلا أنه اعتقل مثل بقية المجاهدين وزج بهم في السجون.

وما إن خرج من السجن حتى قاد الشباب الجامعي للجهاد ضد المحتل البريطاني على أرض القنال عام 1951م، حيث كبدوه خسائر جمة.

له العديد من المؤلفات والمقالات، وظل يمد المكتبات بكتاباته، حتى وافته المنية في شعبان 1422هـ، الموافق أكتوبر 2001م.■

يوسف الصوري.. معلم الصمت الشامخ

يوسف خاطر حسن الصوري أحد شهداء الكويت الأبرار، ولد في 21 سبتمبر 1958م في منطقة الدوحة، وعمل في وزارة التربية مدرساً لمادة التربية الإسلامية بمدرسة مرشد محمد السليمان الابتدائية.

كان أصحابه يطلقون عليه «معلم الصمت الشامخ»؛ لأنه كان دائم الصمت في حكمة ووقار، وإذا تكلم تحدث بالخير دائماً، رحمه الله.

كان رحمه الله مثالاً للعطاء والتفاني في خدمة المنطقة، وذا همة عالية، يهتم بتربية الناشئة، ويحثهم على فعل الخير وملازمة المسجد، وكان يلقي الدروس والمواعظ.

ومن الأعمال البطولية التي قام بها، أنه كان يذهب إلى منطقة كيفان أثناء الاحتلال العراقي ليحضر الخبز لأهل منطقته، تحت تطاير الرصاص فوق رأسه؛ جراء الاشتباكات بيت القوات العراقية والمقاومة الكويتية آنذاك.

وكان يقوم بتوزيع نشرة «المرابطون» أثناء فترة الغزو غير مبالٍ بما قد يصيبه جراء ذلك، التي كانت تحتوي على توصيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية، وأدعية تحث على الصبر على البلاء، والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، لكشف هذا البلاء عن المسلين، والاقتصاد في المواد التموينية.

ألقي القبض عليه في السوق المركزية مع أحد أعضاء الجمعية وهو سالم الشمري بجمعية الصليبيخات والدوحة التعاونية، بتاريخ 1990/9/9م، حيث كان يقوم بتقديم الخدمات إلى إخوانه المواطنين، بالإضافة إلى توفير المواد التموينية كونه كان عضواً في مجلس إدارة الجمعية الذي تم تشكيله أثناء الغزو يوم 1990/8/4م.

وتعرض الصوري لأشد أساليب التعذيب الوحشي، وهو صابر مؤمن بقضاء الله سبحانه وقدره، حتى كان يوم الأحد الموافق 7 أكتوبر 1990م عندما قام جنود الاحتلال الغاشم بإعدام الشهيد البطل بإطلاق النار على رأسه، وإلقاء جثمانه أمام منزله في منطقة الدوحة.■

محطات إيمانية في طريق التربية

كن عالِماً أو متعلماً

إنها الرحلة المباركة لكل مسلم ومسلمة، رحلتنا إلى العلم، تصحبنا فيها ملائكة الرحمن وتظلنا بأجنحتها، وكلما سرنا في طريقنا إليها تنزلت علينا من الله السكينة وغشيتنا رحمته الواسعة، هي السبيل إلى شهادة العز والشرف والمنزلة، حيث يذكر الله تعالى في الملأ الأعلى عبده هذا السائر إليه بإخلاص وجدّ؛ ويسهّل له طريقه الموصل إلى جنته الواسعة ورضوانه الدائم؛ ما دام للعلم طالباً، وللعمل به قائماً، ولوجه الله له باذلاً، ولِمَ لا يكون طريقاً إلى الجنة وقد أسهر الطالب في العلم ليله، وأنفق فيه ماله، وآثر به وقته، وحبس عليه نفسه، ليكون عالماً، فإن لم يكن عالماً فمتعلماً؟

إيمان مغازي الشرقاوي
ليسانس شريعة - ماجستير الدعوة
جامعة المدينة العالمية

إنه الخير العظيم الذي يمنّ الله به على من يختاره ويصطفيه من عباده، فيجعل له من ميراث النبوة نصيباً، حين يبذل نفسه ووقته وجهده وماله لينهل من معين الشريعة، ويتفقه في دينه ويتبصر، فيكون وعاء للعلم الذي يحيي الله به القلوب ويشبع به حاجتها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَن يُرِد الله به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين» (رواه البخاري)، قال السندي: «والفقه في الدين هو العلم الذي يورث الخشية في القلب، ويظهر أثره على الجوارح، ويترتب عليه الإنذار».

كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122)، قال البغوي: «والفقه هو معرفة أحكام الدين، وهو ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية، ففرض العين مثل: علم الطهارة والصلاة، والصوم، فعلى كل مكلف معرفته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وكذلك كل عبادة أوجبها الشرع على كل واحد، يجب عليه معرفة علمها، مثل: علم الزكاة إن كان له مال، وعلم الحج إن وجب عليه».

لذا، فإن أول ما يجب علينا تعلّمه الإيمان والتوحيد؛ حتى تقوى صلتنا بالله، وتكثر طاعتنا له، ونعبده على علم واتباع وإخلاص ويقين، فالعلم إنما يكون قبل العمل، وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ (محمد: 19)، وإن التعرف على الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا يملأ القلب سكينة وإيمانا وطمأنينة، مع الرغبة والرهبة والرجاء والخوف.

وقد عرّفنا سبحانه وتعالى على نفسه في كتابه الكريم، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ (الإخلاص)، وقال لنبيه موسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: 14)، قال ابن عاشور: «وفي هذا إشارة إلى أن أول ما يتعارف عليه المتلاقون أن يعرفوا أسماءهم، فأشار الله إلى أنه عالم باسم كليمه، وعلّم كليمه اسمه، وهو الله».

أول ما يجب تعلمه الإيمان والتوحيد حتى تقوى صلتنا بالله ونعبده بعلم وإخلاص

بشائر ربانية

كانت أول آيات أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ (العلق)، وهي دعوة من الله لهذا الإنسان الذي جعله قادراً على تلقي العلم، ليتعرف أولاً على ربه وخالقه؛ فيزداد إيماناً ويقيناً، فمَن خلق وعلّم هو ربنا الله الذي يسّر أسباب العلم ووسائله وأدواته، ومن تعلّم ولا يزال يتعلم هو الإنسان المكرّم.

وحتى يسارع المسلم لطلب العلم، ويصبر المتعلم ويتصبر على مشقة طلبه، ويثبت على طريقه؛ توالت له البُشريات الواحدة تلو الأخرى، تشجعه وتحثه وتقويه حتى يكون له عزم ونية، فهو إما أن يكون عالماً أو متعلماً، وفي كلا الحالين عليه أن يجدَّ في التعلم ولا يفتر، ويسير فلا يتوقف، متمثلاً قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: 114)، حتى يصل إلى مرتبة العلماء الربانيين، أو المتعلمين العاملين.

من هذه البُشريات قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ومن سلك طريقاً يطلبُ فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضاً لطالبِ العلم» (صحيح أبي داود)، وقال: «وإنَّ طالبَ العلمَ يستغفرُ له كلُّ شيءٍ، حتى الحيتان في البحرِ» (صحيح الجامع)، وقال: «ما من خارجٍ خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع» (رواه ابن ماجة، وصححه الألباني).

وقد عرف الصحابة ذلك، فلم يضيعوا هذه الفرصة الثمينة من بين أيديهم، فجلسوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتعلمون منه ويحفظون قوله وعمله، وينقلون ما تعلموا لغيرهم، كما أن النساء أيضاً كان لهن نصيب في ذلك، فعن أبي سعيد الخدري قال: «جَاءَت امْرَأَةٌ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلَّمَ فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّه، ذَهَبَ الرِّجَالُ بحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا من نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فيه تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّه، فَقَالَ: اجْتَمِعْنَ في يَوم كَذَا وكَذَا في مَكَانِ كَذَا وكَذَا، فَاجْتَمَعْنَ، فأتَاهُنَّ رَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهِ عليه وسلَّمَ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه». (رواه البخاري).

اقرأ وتعلَّم واصبر

من طلب العلم مخلصاً في طلبه؛ آنس الله به وحشته، وقطع به غربته، فسلم قلبه ورقت نفسه، وسمت روحه، وأحب العلماء وطلبة العلم، ووجد في طلبه لذة، فلم يضيع وقته فيما لا يفيد، وقد لخص ذلك ابن القيم فقال عن العلم: «هو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف في الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكهف الذي لا ضيع على من أوى إلى حرزه، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، مدارسته تعدل الصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الشراب والطعام» (مدارج السالكين).

إن طلب العلوم الدنيوية التي فيها صلاح العباد والبلاد هو مما دعا الله إليه، لكنها ليست فرض عين على كل مسلم، أما معرفة الحلال والحرام وما يصلح به دين المرء فهو فرض على كل مسلم، وإنه لمن المؤسف أن يتعلم المسلم كل ما يهمه في دنياه، ثم يتعلل بشغله ومشاغله عن طلب ما يلزمه من علوم الشريعة مما يحتاجه لآخرته، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، فقال: «إنَّ اللَّه تعالى يُبغِضُ كلَّ عالمٍ بالدنيا، جاهلٍ بالآخرةِ» (صحيح الجامع).

كما أن من النساء من تتعلم ضروباً من فنون التجميل والموضة والأزياء، والطبخ والحمية، التي قد تستهلك فيها كل وقتها؛ فلا تجد متسعاً لعلوم الشريعة، فقد تعرف كيف تتجمل، لكنها لا تعلم ما ضوابط تَجمُّلها، وتعرف مواصفات لباس الموضة، لكنها قد تجهل مواصفات لباسها الشرعي، وقد يستهلك الجميع أوقاتهم رجالاً ونساء في أمور الدنيا بالتنقل بين قنوات الشبكة العنكبوتية المتعددة دون أن يفسحوا مجالاً لتعلم أمور دينهم.

أما شبابنا –وهم أمل هذه الأمة– فقد زهد البعض منهم في التزود من العلم الشرعي مما هو فرض عين عليهم، فهجروا القرآن الكريم الذي فيه عزهم، وتخاصموا مع القراءة، وكسروا القلم! ولا تفتأ أصابعهم تتحرك يمنة ويسرة على شاشات المحمول والإنترنت، تتلقى أو تبث الغث والسمين دون علم، تموت الأنفاس وتضيع الأوقات وتتبعثر هنا وهناك مما لا يدع مجالاً لحديث نبوي يُحفظ، أو آية قرآنية تُفهم، أو حكم فقهي يُعرف! فقد تحفظ مواعيد المباريات دون مواعيد الصلوات! يهتم الشاب بمظهره قبل أن يهتم بقلبه وجوهره، وينساق وراء الشهوات المحرمة والتشبه المنهي عنه في لباسه وشعره وربما أخلاقه، ظناً أن فيها سعادته، وجهلاً بقبح فعلته، وما علم أن السعادة الحقيقية في طاعة الله، وأن العلم بما يريده الله هو طريق العمل والسبيل إلى الرضا والقبول والتوفيق في الحياة، لكن الأمل يبقى بالعود الحميد منهم إلى رحاب الطاعة والتحلي بالعلم.

درب العلم والعلماء

هيا وسر في درب العلم والعلماء، فإن كنت عالماً فعلِّم غيرك، وأبشر بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، ورَّثُوا العلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ» (صحيح أبي داود).

وإلا فكن متعلماً، تتعلم ما هو فرض عين عليك، فإن ازددت فهو خير إلى خير، والله تعالى يقول: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 9)، هيا.. وكن كما قال أبو الدرداء: «كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً، ولا تكن الخامس فتهلك». ■

أديان بلا دول.. ودول بلا أديان

المتأمل في سياسات بعض دول العالم اليوم، يلاحظ أنها قد تعبر بشكل من الأشكال عن الزاد الديني الموروث، بصرف النظر عن ديانات شعوبها، وعلى النقيض؛ قد تجد دولاً ليس لها دين رسمي، ولكنها في الوقت نفسه تعادي ديناً آخر حتى ولو كان هذا الدين يعتقده نسبة من مواطنيها.

وتستعجب من دول تتبنى ديناً في دستورها وهي تعادي من يريد لهذا الدين أن يحكم، وكأن الدين الرسمي لا يعني شيئاً من قريب أو بعيد لمن يعيش في هذه الدول! وتجد دولاً لا دينية في دساتيرها، ولكنها تعادي أديانا أخرى يعتنقها سكانها، ويعاني الأفراد من ديانات مختلفة في أنحاء العالم من الاضطهاد والتضييق والتقييد لحرية الدين حتى من أكثر الدول التي تدعي أنها دول دينية!

لدراسة هذه الظواهر العالمية، سنلقي الضوء عليها من خلال مراجع ودراسات، لعلنا ندرك ما يحدث في العالم من تشابكات واختلافات تنبئ إما بحرب عالمية ثالثة -لا قدر الله- إذا أمسك بدفة الدول المتعصبون، أو نرى انفتاحاً وسعة أفق تقرب الناس للتعايش السلمي إذا قاد العقلاء.

لندن ▯ د. أحمد عيسى:

كشفت دراسة جديدة لمركز «بيو» للأبحاث في واشنطن[1]، أجريت على 199 دولة، أن 43 منها تتبنى ديانة أو مذهباً دينياً معيناً، وأن أكثر من 80 دولة حول العالم لديها دين رسمي في دساتيرها أو تفضل ديناً معيناً، وأن أكثر من 100 دولة ليس لها دين رسمي، وأشارت الدراسة إلى أن الإسلام هو أكثر الديانات التي تتبناها دول رسمياً في العالم، ولفتت إلى وجود 10 دول تكِنُّ العداء بشكل رسمي أو غير رسمي للدين.

وحسب هذه الدراسة، قال الباحثون: إن الدول التي تتبنى ديناً معيناً تمنح معتنقي هذا الدين مزايا تفضيلية، وكذلك الدول التي لا تتبنى رسمياً ديانة معينة لكنها تفضل ديناً أو عقيدة معينة، فإنها تمنح أصحابها مزايا مالية أو قانونية معينة، ورغم أن الأخيرة لا تذكر الدين في قوانينها، فإنها تتحدث عن «التقاليد الدينية» للدولة، وبالنسبة للفئة الأولى، قال «بيو»: إنها قد لا تجعل الالتزام بدين معين أمراً إلزامياً، لكنها تفضّل أصحاب الدين الرسمي على معتنقي الأديان الأخرى، وذكر «بيو» فئة أخرى من الدول قال: إنها لا تفضّل أو تتبنى ديناً معيناً، وتحاول تجنب تفضيل أي مجموعات دينية.

الدول التي لديها دين رسمي:

22% من دول العالم يوجد لديها دين رسمي (43 دولة)، 63% من هذه الدول (27 دولة) تتبنى الإسلام بشكل عام أو مذهباً إسلامياً معيناً، 59% من الدول التي تتبنى الإسلام رسمياً (16 دولة من بين الدول الـ27) تقع في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهناك 13 دولة في فئة الدول التي لديها دين رسمي تتبنى المسيحية، من بينها 9 دول في أوروبا؛ مثل بريطانيا والدنمارك وآيسلندا، وهناك دولتان هما بوتان وكمبوديا تعتبر البوذية دينهما الرسمي، أما الدولة الوحيدة التي جعلت اليهودية ديناً رسمياً لها فهي «إسرائيل».

أكثر من 80 دولة لديها دين رسمي أو تفضل ديناً معيناً وأكثر من 100 دولة ليس لها دين رسمي

دول تفضل ديناً معيناً:

توجد 40 دولة (20%) حول العالم تفضّل ديناً معيناً وإن كانت لا تتبناه رسمياً؛ 3 دول من الدول التي تندرج في هذه الفئة تفضل الإسلام مثل تركيا وسورية، و28 دولة تفضل المسيحية، غالبيتها تقع في أوروبا وأمريكا الجنوبية، بينما هناك 4 دول تفضّل البوذية، من بينها دولة بورما (ميانمار)، وسريلانكا.

دول لا تفضّل ولا تتبنى ديانة رسمية:

توجد 106 دول في العالم (53%) -من بينها الولايات المتحدة- لا تتبنى ولا تفضل ديناً معيناً، وهناك دول تعادي الدين أو تقيده بشدة؛ وهي 10 دول تكنُّ عداء رسمياً أو بشكل غير رسمي للأديان أو تقيد بشدة المؤسسات الدينية، على رأسها الصين التي تضطهد سكانها المسلمين.

الدعم الحكومي للدين:

يقول التقرير: إن غالبية الدول التي تتبنى أو تفضّل ديناً معيناً تقدّم الدعم المالي للأنشطة التعليمية لهذا الدين وبناء دور العبادة الخاصة به، وهناك 8 من بين كل 10 دول لديها دين رسمي تمول أنشطته التعليمية، بينما توجّه نسبة 51% من الدول في هذه الفئة بعض مواردها لبناء دور العبادة، وتقل نسبة التمويل قليلاً لهذه الأغراض في الدول التي لا تتبنى ديناً رسمياً لكنها تفضّل ديناً معيناً.

دولة الاحتلال وضع خاص!

خلصت دراسة أخرى لمركز «بيو»[2]، أن «إسرائيل» من بين الدول العشرين الأكثر تقييداً لحرية الدين (اعتقاداً وممارسة) حول العالم، وبيّنت الدراسة أن «إسرائيل» تحتل المرتبة الخامسة في العالم بـ«العداء الاجتماعي على خلفية الأعراف الدينية»، كما حلت «إسرائيل» في المرتبة السادسة

عالمياً في «التوترات والعنف بين الأديان المختلفة».

كما لفتت الدراسة اعتماد السياسيين «الإسرائيليين» على الخطاب الديني لاستمالة الجمهور، بالإضافة إلى ذلك، شددت على اعتماد السياسيين «الإسرائيليين» على المعتقدات الدينية وسلطة الدين حتى في المسائل القانونية والقضائية، وأضاف التقرير أن «إسرائيل» التي تعرّف نفسها بأنها دولة يهودية، يسيطر فيها الحاخامات على جميع حالات الزواج والطلاق والجنائز وغيرها؛ ما يعني أن الدولة لا تعترف بكل هذه الإجراءات ما لا تتم وفق الشريعة اليهودية، وعلى يد رجال الدين اليهود، وهي لا تعترف كذلك بالزواج المختلط بين الأديان.

وتتبع المركز في تقريره تصاعد وتفاقم القيود المفروضة على ممارسة العقائد الدينية على مستوى العالم ككل، وفي دراسة شملت الأفراد المنتمين إلى أكبر ديانتين في العالم، أكد المسيحيون تعرضهم إلى مضايقات واعتداءات في 143 دولة، فيما قال المسلمون: إنهم كانوا ضحايا هذه الممارسات في 140 دولة، وقال اليهود: إنهم تعرضوا للمضايقات والهجمات من قبل 87 دولة.

وحسب البيانات التي خلص إليها المركز، تفرض 52 حكومة (بما فيها الروسية والصينية) قيوداً صارمة على الدين، وارتفع هذا العدد من 40 دولة خلال 10 سنوات، كما أشار التقرير إلى معاناة 56 دولة من أعمال عدائية لأسباب دينية خلال عام 2017م، وارتفع هذا العدد من 39 دولة عام 2007م، وهناك 10 دول على رأسها الصين وروسيا، ومن بينها مصر وسورية، تقوم بأعمال عدائية ضد المجموعات الدينية، وها هي الهند رغم أن دينها الرسمي ليس الهندوسية تقوم باضطهاد مسلمي كشمير.

وشهدت أوروبا أكبر زيادة في القيود التي فرضتها الحكومات على شعوبها خلال الأعوام العشرة التي امتدت إلى عام 2017م، حيث ارتفع عدد الدول التي تفرض قيوداً على اللباس الديني (بما في ذلك النقاب والبوركيني) من 5 إلى 20 دولة؛ مثل فرنسا وهولندا والنمسا وألمانيا وإسبانيا، ووافق الناخبون بمنطقتين في سويسرا على حظر ارتداء النقاب، وأيد الناخبون على مستوى البلاد فرض حظر على بناء مآذن جديدة، والناظر إلى هذه الدول يجد أنها دول لا دينية، والمفترض ألا تتعصب ضد دين، ومثّل ختان الصبيان مشكلة في أوروبا، واشتكت الجماعات الإسلامية واليهودية في ألمانيا وسلوفينيا من تدخل المسؤولين الحكوميين في تقاليدهم الدينية عبر محاولة تجريم الختان بحجج غير طبية.

وما يدمي القلب أن أكبر دولة إسلامية في العالم وآسيا؛ وهي إندونيسيا، وأكبر دولة أفريقية؛ وهي نيجيريا، وأكبر دولة إسلامية في أوروبا؛ وهي تركيا، كلها دول دساتيرها علمانية، ولكن يأتي بريق الأمل من النجاح الباهر لحزب العدالة والتنمية الإسلامي في تركيا.

الإسلام أكثر الديانات التي تتبناها دول رسمياً وهناك 10 دول تكِنُّ العداء للدين

إسرائيل من بين الدول العشرين الأكثر تقييداً لحرية الدين رغم أنها تعرّف نفسها بأنها دولة يهودية

وفي الدراسة العالمية المستفيضة[3] عن أي الدول لديها دين رسمي، تم تجميع الدين والدولة في قاعدة بيانات تصنف العلاقة بين الدين والدولة إلى 4 مجموعات رئيسة، هي: الفصل بين الدين والدولة، والتمييز ضد الأقليات الدينية، والقيود المفروضة على الأديان، ثم التشريعات الدينية، ويلاحظ من الدراسة أن هناك 3 دول تحولت من الإسلام إلى العلمانية بعد سقوط الخلافة؛ هي تركيا وألبانيا ولبنان، وتخلت سورية عن الإسلام كدين الدولة، وهناك 6 دول تحولت من دين آخر إلى العلمانية بعد انتهاء الاحتلال الأوروبي، هي: إندونيسيا من البروتستانتية (دين الهولنديين المستعمرين)، وغينيا بيساو من الكاثوليكية (دين البرتغاليين المستعمرين)، وكازاخستان من الأرثوذكسية (دين الروس المستعمرين)، وكل من بنين، وبوركينا فاسو، وتشاد من الأديان العرقية والقبلية، وكدين للدولة تركت كل من الصين والكوريتين وتايوان الكونفوشية، كما تركت البوذية كل من اليابان ومنغوليا.

إن البلاد المنتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي دائماً تذكر أنها دول إسلامية، والمعروف أن عددها 57 دولة، ولكن هناك 27 دولة فقط دينها الرسمي الإسلام (47%)، والباقي هي 30 دولة سكانها مسلمون، أو نسبة كبيرة منهم مسلمون، ولكنها دولٍ علمانية (53%)، ولعل ذلك أجاب لي ضمناً عن تساؤلي حول ضعف الأمة وبُعدها عن الإسلام، إذ نجح أعداؤها في الداخل والخارج أن يلبسوا ما يقارب نصف الأمة لباس «اللادينية».■

الهوامش

(1) Many Countries Favor Specific Religions. Officially or Unofficially
Pew Research Centre
3 October 2017

(2) A Closer Look at How Religious Restrictions Have Risen Around the World
Pew Research Centre
15 July 2019

(3) Which countries have state religions
Barro and McCleary. Harvard University 2005
Quarterly Journal of Economics 120 (4): 13311370-

فتنة الضعف والفقر

أرشد الله تعالى أن الضعف والفقر فتنة، وقد تصل إلى هذه الفتنة إلى الكفر، ولهذا اقتضت حكمته ألا يجعل نعيم الدنيا منصرفاً إلى الكافرين وحدهم مع شدة حقارة الدنيا عليه، وذلك أنهم لو حازوها لهاجرت إليهم القلوب لانبهارها بهم فتابعتهم على كفرهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ (34) وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35)﴾ (الزخرف).

محمد إلهامي
باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

تجيء معنى الآية الواردة في مقدمة الموضوع أن الله أشرك المؤمنين والكافرين في نعيم الدنيا، بينما جعل نعيم الآخرة للمتقين وحدهم، ولو أنه تعالى جعل نعيم الدنيا للكافرين وحدهم لهاجرت النفوس إلى الكفر؛ لما ترى عندهم من التفوق والغنى والنعيم؛ فلولا هذا لجعل الله للكافرين سقوف بيوتهم وأبوابهم ومصاعدهم وأسرتهم من الذهب والفضة.

وهذا أمر مطرد في طبائع البشر، نراه ونلمسه صباح مساء، وقد اشتهرت مقولة ابن خلدون في أن «المغلوب مولع بتقليد الغالب في زيّه وشعاره ونحلته وسائر عوائده»، وقد صرنا الآن في حال نرى فيها شباب الأمة يتساقطون في الإلحاد والإباحية والعدمية والأفكار التي لم تتشربها نفوسهم عبر السجالات العقلية أو البحوث العلمية، وإنما غُزيت نفوسهم بهذه الأفكار لأنها جاءت من الغَالب المتفوق الغربي.

سجالات المرأة المتكررة

وإذا طالعنا المشهد الفكري الإسلامي نفسه، فسنجده سجالات متكررة في الحديث عن حقوق المرأة ومساواتها بالرجل واستقلاليتها وحريتها في نفسها وحقها في العمل والسفر بدون محرم، ونصيبها في الإرث، ولماذا هو النصف، أو مسائل الحرية التي تقصد أساساً حرية الردة أو الزنا أو اللواط، أو مسائل دور الدين في الحياة، وضرورة أن يبقى في المسجد لا شأن له بالسياسة أو الاقتصاد أو العلوم!

هذه المسائل وأشباهها إنما هي مناطق التناقض بين الإسلام والحضارة الغربية المتفوقة، ولذلك تدور المحاكمات حولها، ولو أن الدنيا دالت وانقلبت موازين القوى فصعدت الصين أو الهند لاختلفت طبيعة الأفكار الوافدة، وطبيعة المسائل التي يجري السجال حولها، وعندها ستجد المسلمين يستهلكون جهودهم في مسائل أخرى؛ فربما هوجم الإسلام لأنه لا يجيز للمرأة أن تحرق نفسها بعد زوجها، فهذا هو معنى الوفاء الأكيد لذكراه! أو هوجم لأنه يبيح للمرأة أن تطلب الطلاق ولو بغير ضرر مباشر لمجرد أنها لا تستطيع الحياة مع هذا الزوج، أو حتى هوجم لأنه يتعامل مع البقرة كحيوان من الحيوانات، أو لأنه يَعِد المؤمنين بالملذات الحسية في الآخرة ويبيح لهم في هذه الدنيا التمتع في الدنيا بالشهوات الجسدية من المأكل والمشرب.. إلخ! إن القصف المتواصل للثقافة الهندية المتفوقة في ذلك الحين سيجعل هذه المسائل موضع المحاكمة.

ابن خلدون: المغلوب مولع بتقليد الغالب في زيّه وشعاره ونحلته وسائر عوائده

الإنسان في الدنيا ذله الفقر وفي البرزخ ذله عذاب القبر وفي الآخرة ذله الكفر

ولما كان الضعف فتنة وجَّه الله تعالى عباده إلى احتياز القوة وإعدادها فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: 60)، واللطيف في الآية هو توجيهها النظر إلى أن ثمة «آخرين» ليسوا من الأعداء يتأثرون هم أيضاً بحال القوة والضعف، فإذا كنتَ قوياً ارتدعوا، وإذا كنتَ ضعيفاً كانوا مع العدو! فالضعيف مطمع متاح مباح ليس للذي ينهشه فحسب، بل إن نهشه حلم يراود هذا الآخر الجالس بعيداً كذلك.

فتنة الفقر

ولما كان الفقر فتنة استعاذ النبي بربه منه، وجعله قريناً للكفر، فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر»، وهذا الدعاء العجيب الجامع قد أرَّقني زمناً، فإنه دعاء قصير مسجوع، ولم أفهم لماذا ذكر النبي الكفر مع الفقر مع عذاب القبر، حاشاه صلى الله عليه وسلم أن يكون قاله طلباً للسجع والجرس، حتى هداني الله إلى أن هذا الدعاء القصير إنما جمع الاستعاذة من الذل في كل أطوار الإنسان، فالإنسان في الدنيا ذله الفقر، والإنسان في الآخرة ذله الكفر، والإنسان في البرزخ ذله عذاب القبر.. فهكذا استعاذ النبي من ذل الدنيا وذل القبر وذل الآخرة، وصلى الله على من أوتي جوامع الكلم.

وفي أول معركة كبرى بين المسلمين وأعدائهم من قريش، أنعم الله عليهم بنعمة عجيبة ذكرها لهم، أنعم عليهم بأنه قلَّل الكافرين في أعينهم، فهذا ما جعلهم أجرأ عليهم وأقوى في قتالهم، ولو أن المسلمين شعروا بحجم الفارق لوقع بينهم التنازع واضطراب قرار المواجهة، كما أنه سبحانه وتعالى قلَّل المؤمنين في أعين الكافرين ليسوقهم إلى الهزيمة والفخ، قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً

لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّه سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّه أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّه تُرْجَعُ الأُمُورُ (44)﴾ (الأنفال).

وإذا نظرنا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأردنا أن نضع نقاطاً على المراحل الفاصلة التي كثر فيها المسلمون، فسنجد أنها كانت عقب الانتصارات، فقد انتهى المشركون في المدينة بعد غزوة «بدر»، وصارت المدينة إما مسلماً أو منافقاً أو يهودياً، ومن بعد «بدر» صار عقد التحالفات مع القبائل والأنحاء أهون وأيسر، ثم جاءت «الحديبية» التي هي بمثابة الاعتراف الدولي بدولة المسلمين؛ فكانت فتحاً مبيناً، حتى أسلم في العامين اللذَيْن بعدها مثلُ الذين أسلموا من أول الإسلام، وفي هذا الفتح نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللّه الْحُسْنَى﴾ (الحديد: 10)، ثم كان «فتح مكة»، فكان الفتح الأعظم وبه دخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان العام التالي للفتح هو عام الوفود الذي أقبلت فيه وفود قبائل العرب تدخل الإسلام وتبايع النبي صلى الله

لما كان الضعف فتنة وجَّه الله تعالى عباده إلى إعداد القوة لأن الضعيف مطمع لكل ناهش

المسلم المخلص عليه أن يكافح لرفع الفقر والضعف عن أمته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً

عليه وسلم، وفي ذلك الفتح نزل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللّه وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّه أَفْوَاجاً (2)﴾ (النصر).

ولعله لهذا اقتضت سُنة الله تعالى أن يُبعث الأنبياء في أشراف أقوامهم، فيكون هذا من أسباب كمالهم البشري، إذ لو بُعث الأنبياء في الضعفاء لاستنكفت أكثر النفوس عن الاستماع لهم واتباعهم، بل ولقُتلوا قبل أن يبلغوا رسالتهم، وقد قصَّ تعالى علينا بعضاً من هذا عن قوم صالح عليه السلام الذين كانوا يخشون من قومه فدبروا لمؤامرة سرية لقتله ولإعلان براءتهم أمام عشيرته من دمه، هذا مع أنهم الزعماء التسعة الرؤساء الذين يملكون زمام الإفساد، ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللّه لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (النمل: 49)، وكذلك قصَّ الله علينا مشهداً مماثلاً عن قوم شعيب الذين ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: 91).

وضرب الله مثلاً بحالة وحيدة لنبي افتقد للقوة وهو لوط عليه السلام، فكان في محنة يستغيث فيها ولا يجد ناصراً ويرجو أن لو كان له ركن متين؛ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود: 80)، وعندئذ جاءه المدد، فكُشف ضيوفه عن أنهم ملائكة من عند الله، وأنه لن يمسه منهم سوء، ولقد ذكر النبي هذا الموقف ثم قال: «رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد!»، وفي حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما بعث الله من بعده من نبي إلا في ثروة من قومه».

ولقد كانت حماية عبدالمطلب وبني هاشم لنبينا صلى الله عليه وسلم هي المانع الأكبر الذي أطال عمر الدعوة في مكة عشر سنوات، وعجز ملأ قريش أن يقتلوا النبي أو يؤذوه لقوة عصبته، وهذه هي السنوات العشر الذهبية التي استطاعت فيها الدعوة أن تجمع أنصاراً، وأن توجد لنفسها أرضاً أخرى تنتقل إليها، ولولا هذا لكان قتل النبي هيناً على ملأ قريش كقتلهم ياسراً، وسمية، فعلوها ولم يطرف لهم جفن! ولم يخرج النبي إلى الهجرة إلا بعد استيثاق العباس من نصرة أهل المدينة له، وكان النبي في حراسة دائمة ليلاً ونهاراً حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَاللّه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: 67)، ولهذا قال ابن خلدون في هذا المعنى: وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم؟!

إن المسلم المخلص -لا سيما في أوقات الاستضعاف- يحمل همّاً عظيماً ومسؤولية كبرى، إن عليه أن يكافح حتى لا يكون فقيراً أو ضعيفاً، وأن يرفع الفقر والضعف عن أمته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ويكون ذلك منه على مستوى نفسه وأهله وجيرانه، كما يكون على مستوى قومه وبلده وأمته، وكل إنسان أدرى بما يستطيعه.

إن إنقاذ الناس من الفقر والضعف هو في الحقيقة إنقاذ لهم من الكفر، وكفى بذلك أجراً عظيماً!■

توبة الفنانين والفنانات ظاهرة صحية.. ولكن!

بقلم ـ د. عامر البو سلامة:
كاتب سوري

بداية المقصود بالفن هنا الفن الهابط التخريبي الضلالي، أما الفن الهادف فنحن بحاجة ماسة إليه، وسيكون لنا حديث آخر فيه.. تطالعنا الأخبار -صحفياً أو إذاعياً أو تلفزيونياً- بين الفينة والأخرى بتوبة الفنان الفلاني، أو الفنانة الفلانية، من ممثلين وممثلات أو راقصين وراقصات، من الذين كانوا أعلاماً يشار لهم بالبنان، وتعقد عليهم الأنامل في هذا الشأن، وخصوصاً منهم أولئك الذين تميزوا بصورة ظاهرة بالفساد والتخريب، عن عمد وسابق إصرار، وهذا من خلال كلمات بعضهم، وهو يتحدث عن قصة توبته ووصوله إلى بر الهداية الربانية؛ فرأى النور بعد الظلام، ووقف على الجادة بعد تيه، وفتح صفحة بيضاء، بعد تلك الصفحات السوداء، التي انطبعت بها حياته السابقة.

وهذا الشرود والتيه عن طريق الحق، وترك منهج الصواب، المتمثل أصالة بكتاب الله تعالى، وسُنة النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو نتيجة التلبيس الشيطاني، والعشعشة الإبليسية، التي عمل لها خفافيش الليل، وعتاة المكر، من أجل غزو هذه الأمة في الجانب السلوكي، الذي مبعثه الأصلي ما يعرف بـ«الغزو الفكري» أو الحرب الموجهة.

فكان الذي كان، ولا غرو في هذا؛ فالعلماء قالوا: التوبة واجبة من كل ذنب، وهذا من مستندات وأدلة الكتاب والسُّنة، من مثل قول الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: 31)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ (التحريم: 8).

وروى مسلم، في صحيحه، عن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه».

وهذا الأمر الطيب المبارك -أمر المتابعة والمراجعة للنفس والذات مع الله تبارك وتعالى؛ بحيث إنه يحقق من خلال هذا عودة صادقة إلى الله عز وجل- محمدة وإيجابية عند الله تبارك وتعالى أولاً، وهذا هو المهم بالنسبة للإنسان المسلم، ثم عند الناس ثانياً، وهذه عاجل بشرى المؤمن.

ومن رحمة الله تبارك وتعالى بالناس أن فتح الله لهم باب التوبة، ما لم يغرغر هذا الإنسان، أو تطلع الشمس من مغربها، روى مسلم، في صحيحه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

إلا أن هذه الظاهرة الطيبة تحفها سلبية جلية لمن يتابع؛ وهي أن هذا التائب أو تلك التائبة يتحولون بين عشية وضحاها إلى مفتين كبار، ومفسرين وشراح، ويتكلمون عن الإسلام في باب الحلال والحرام، والجائز وغير الجائز، حتى في أدق التفاصيل في باب الفتيا.

ترى أحدهم بالأمس كان غافلاً شارداً، واليوم بحكم التوبة يتصدر للإفتاء والتوجيه الإسلامي، وتفاصيل ربما يتحرج بعض العلماء في الحديث عنها، وهذا مما لا يجوز من الناحية الشرعية؛ لأن مسألة الفتوى

> **من رحمة الله تعالى أن فتح باب التوبة ما لم يغرغر الإنسان أو تطلع الشمس من مغربها**

والتوجيه الإسلامي لا بد أن يكونا من قبل المؤهلين لهذا المنصب، من علم بكتاب الله تعالى، وسُنة نبيه، والفقه، واللغة العربية، وما إلى ذلك من علوم.

لذلك فالذي يتكلم عن مسائل الحلال والحرام بغير هذه الأدوات، إنما هو متكلم بغير علم، وهذا لا يجوز، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ (النحل: 116).

وأحياناً تكون هذه الظاهرة نتيجة من نتائج الاستسهال في الحديث عن الإسلام؛ فجعلوا باب الفتوى لمن هبَّ ودبَّ، وصاروا يمارسون هذا الأمر بكل جرأة، بينما الأمر أكبر من هذا بكثير، وإن أمره لأمر خطر وجلل، ويحتاج إلى مطلعين وعلماء، وأهل اختصاص في علم الشريعة؛ «وأجرؤكم على الفتيا، أجرؤكم على النار».

المهم أنه كان من نواتج مثل هذا أمور مرفوضة من الناحية الشرعية، وانتشرت فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وأطلقت عبارات خطرة تمس جناب العقيدة في بعض الأحيان، كل هذا والناس يتابعون بشغف، ويتأثرون تأثراً كبيراً.

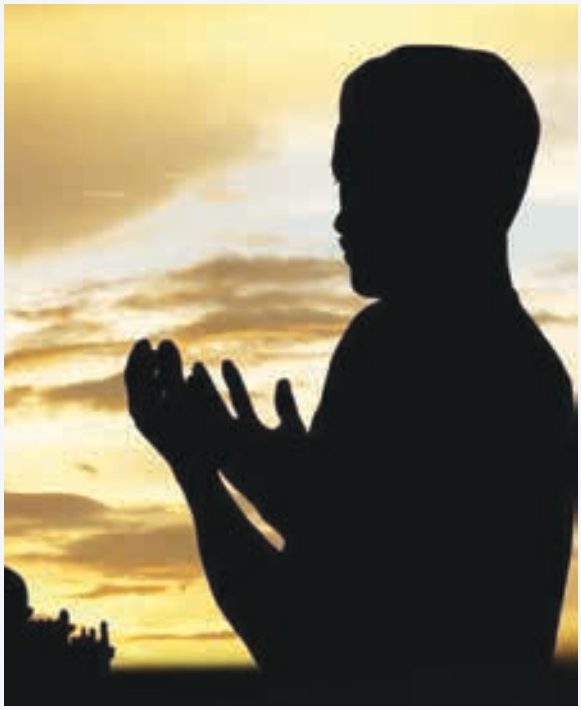

بعض التائبين يتحولون بين عشية وضحاها إلى مفتين كبار يتكلمون عن الإسلام والحلال والحرام!

الذي يتكلم عن مسائل الحلال والحرام بغير أدواتها إنما هو متكلم بغير علم وهذا لا يجوز

ومن هذه الفتاوى: «أن الأصل في كل شيء القلب، والقلب فقط، أما باقي الأمور فشكليات..»، وقل مثل هذا الكثير، في مسائل الحلال والحرام، والجائز وغير الجائز، وأحياناً يدخلون في تفاصيل تتعلق بصفات الله، وغير ذلك من مسائل الاعتقاد، فيكون الكلام فلسفياً بعيداً كل البعد عن منهج الإسلام الحق، في تقرير العقائد، وهذا خطأ ظاهر، وخلل كبير.

يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (8/1): «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك، بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، هو أعلى المراتب السنيات؛ فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماوات؟! فحقيق بمن أقيم في المنصب أن يعد له عدته، وأن يتأهب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه».

وهنا لا بد من إثبات الملاحظتين الآتيتين:

1 – إن هذا الحكم الذي ذكرناه لا ينطبق على الفنانين والفنانات، من التائبين والتائبات فحسب، وإن كان محور الحديث عنهم هنا، إلا أن نفس الحكم هذا تماماً بتمام –مع فروق يسيرة– يصدق على ظاهرة المفكرين، والأدباء والمثقفين والساسة، من التائبين والتائبات، عرباً كانوا أم عجماً.

ذلك أن قسماً منهم شعر –على ما يبدو– أنه من أول يوم أعلن فيه توبته، أخذ إجازة سريعة، يتكلم بها عن الإسلام بكل مفرداته، من خلال أرضيته الثقافية أو العلمية، التي يقف عليها أو يستند إليها، وربما تكون واسعة.

وهذا من العجلة، والأصل في هذا أن يتفرغوا فترة لأخذ العلم من مصادره ومراجعه وأهله؛ حتى لا تقع الفتنة بالتفسير الجاهل، والفتوى غير الصحيحة، ومن له اهتمام برصد هذه الظاهرة يدرك تماماً مخاطر مثل هذا العمل من خلال نواتجه الفكرية الخطرة.

فليس كل مثقف عالماً، ولا كل خطيب فقيهاً، والأمثلة على هذا الأمر كثيرة، ولا مجال في هذه العجالة للتفصيل فيها؛ لأننا هنا إنما نثبت الفكرة بعمومها، تحذيراً وتنبيهاً.

2 – عندما نحذر من هذا الظاهرة –ظاهرة الإفتاء بغير علم، على أصوله المعروفة– لا نتهم النوايا بحال من الأحوال، لسببين:

الأول: لأنه لا يعلم ما في النوايا إلا الله عز وجل، وإنما لكل امرئ ما نوى.

الثاني: حسن الظن بالمسلم؛ لأننا نهينا –من الناحية الشرعية– عن سوء الظن بالمسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: 12).

ولكن هذا –أي حسن النية– ليس كافياً ليكون العمل صالحاً، ومعلوم أن العلماء سلفاً وخلفاً اتفقوا على أن العمل لا يكون صالحاً، إلا إذا توافر فيه شرطان؛ الأول: النية بأن يكون عمله هذا خالصاً لوجه الله تعالى، والثاني: أن يكون العمل موافقاً للكتاب والسُّنة؛ أي صوابية العمل، إنما تكون من خلال عرض هذا العمل على شرع الله تعالى، فإن وافقه قُبِل، وإلا رُد.■

كثيراً ما يهتم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بالبعد المادي لكسب ما يعينهم على متطلبات حياتهم، وهذا في حد ذاته محمدة وأخذ بالأسباب، فالله تعالى أمرنا في كتابه الكريم بالسعي في الأرض، ولم يحملنا همّ الرزق، فهو من فضله وحده، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15)، فالله تعالى يقول: «وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ»، ولم يقل: «كلوا من سعيكم وجهدكم»؛ فالرزق بيده وحده.

كما أنه تعالى سخر ما في الكون جميعاً لخدمة الإنسان، الذي ميّزه بالتكريم والتسخير والرزق والتفضيل، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: 13)، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70).

الطريق للبركة الاقتصادية في عالم الماديات

د. أشرف دوابه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

يكشف واقع المسلمين اليوم عن تفاوت طبقي ملحوظ، وفقر مدقع موجود، وتكافل بات مفقوداً، في ظل الحصار على كل ما هو إسلامي وطمسه، وتجفيف منابع التمويل النافع للمسلمين لبناء الإنسان الاقتصادي الصالح.

وفي ظل ما يعانيه جل المسلمين في ربوع الأرض، غنيهم وفقيرهم، من كسب مال خال من البركات، أو العيش في شظف الفقر المادي أو المعنوي أو كليهما؛ تبدو الحاجة ملحة للمسلمين لتخطيط حياتهم المعيشية تخطيطاً اقتصادياً يعتمد على ركنين أساسيين للكسب والإنفاق؛ أحدهما مادي باتخاذ الجوانب المادية لتعزيز الدخل وترشيد الإنفاق، والآخر معنوي -وهو المفقود- من خلال تعميق البعد الإيماني لتحقيق البركة الاقتصادية.

والبركة الاقتصادية هي أحوج ما تحتاج إليه جموع المسلمين اليوم، وهي ليست لها حدود، فهي تمثل جوامع الخير والبر، وكثرة النعم، وهي في المال زيادته وكثرته، وفي العلم الإحاطة والمعرفة، وفي البيت سعته وسكينته، وفي الطعام وفرته وحسنه، وفي الوقت اتساعه وقضاء الحوائج فيه، وفي الصحة تمامها وكمالها، وفي العمر طوله وحسن العمل فيه، وفي الأولاد برّهم وحسن أخلاقهم، وفي الأسرة انسجامها وتفاهمها.. إنها بحق شيء غير ممسوك، ولكنها في واقع معيشة الناس لها دور ملموس وملحوظ.

عوامل تحقيق البركة

ومن عوامل تحقيق البركة الاقتصادية في حياة المسلم الحرص على الطاعات، وهجرة المعاصي والآثام، ومن ذلك المسارعة في الصدقات، والبعد كل البعد عن الربا؛ فالله تعالى يقول: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ (البقرة: 276)، فالربا في ظاهره نماء للمال، وفي باطنه محق لبركته، وهذا عكس الصدقة التي في ظاهرها نقص للمال، وفي باطنها زيادة في البركة والنماء.

كما أنه من أهم جوامع تحقيق البركة الاقتصادية في حياة المسلم الذكر الاقتصادي، الذي يمثل كلمات بسيطة القول غزيرة المضمون موجبة للبركة الاقتصادية، فمن خلال الارتباط الوثيق بالذكر الاقتصادي في حركات المسلم وسكناته، يفتح الله له أبواباً لمضاعفة حسناته، ومحو سيئاته، وإعانته على عمله، وتوسيع أرزاقه، وتحقيق البركة الاقتصادية بصفة عامة في معيشته، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152)، وفي الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إليَّ بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» (متفق عليه).

> واقع المسلمين اليوم يكشف عن تفاوت طبقي وفقر مدقع وتكافل مفقود
>
> البركة شيء غير ممسوك لكنها في واقع معيشة الناس لها دور ملموس

ومن هنا تبدو أهمية ديمومة الذكر الاقتصادي للمسلم في حياته اليومية، فإذا استيقظ من نومه وتوضأ ابتهل بالدعاء: «اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي» (رواه البخاري)، وإذا استقبل يومه بالذهاب لصلاة الصبح ردد: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللهم أعطني نوراً» (رواه مسلم)؛ فيبارك الله له في بنائه الجسدي والروحي.

فإذا ما انتهى من صلاته فهو في ذمة الله، ففي الحديث: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله» (رواه مسلم)، وما أكرم أن يكون العبد منذ بدء يومه في ذمة ملك كريم يملك الملك والأرزاق.

ثم ما يلبث أن يتوكل على ربه، ويطمع في معافاة جوارحه، وإصلاح شأنه وفقاً لما يقدره خالقه، فيتوجه إلى ربه بأذكار الصباح رافعاً أكف الضراعة إليه سبحانه: «اللهم عافني في بَدَني، اللهم عافني في سمعي،

من عوامل تحقيق البركة الاقتصادية الحرص على الطاعات وهجرة المعاصي

على المسلم أن يوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكسب ومقتضيات العبادة لله

اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت» (رواه أبو داود)، «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت» (رواه أبو داود)، «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين» (رواه النسائي).

فإذا تناول بعد ذلك طعامه سعى إلى تحقيق البركة فيه من خلال البدء: «باسم الله» (رواه الترمذي)، والاتجاه إلى الله بالدعاء: «اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه» (رواه الترمذي).

فإذا فرغ من طعامه كان قوله: «الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام وزرقنيه من غير حول مني ولا قوة» (رواه أبو داود)، فإذا ما اتجه لارتداء ثيابه ابتهل إلى الله بالدعاء: «الحَمْدُ للَّه الذي كَساني هذا ورَزَقَنيه مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي ولا قُوةٍ» (رواه أبو داود)؛ فيرزقه خيره، ويصرف عنه شره.

فإذا خرج من بيته انطلق لسانه وقلبه: «اللهُمَ إني أعُوذُ بك أن أَضِلَّ أوْ أُضَلَّ، أوْ أزِلَّ أو أُزَلَّ، أوْ أظلِم أوْ أُظْلَم، أوْ أَجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» (رواه أبو داود)، «باسم الله، توكَّلْتُ على الله، لا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا بالله» (رواه أبو داود)، فيكفيه الله بما يريد، ويقيه ما لا يريد، وينحي عنه الشيطان فلا يعرف له طريقاً.

وإذا دخل إلى موطن عمله كان قوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير» (رواه الترمذي)، فيوقن أن كل شيء بأمر ربه من حياة وموت، وسعة وضيق، فتطمئن نفسه على رزقه وحياته، وأنه لن يأتيه إلا ما قدّره الله له.

ثم إذا ما عاد إلى بيته ذكر ربه فيبارك الله له؛ ففي الحديث: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان أدركتم المبيت» (رواه مسلم).

ثم إذا ما أخلد للراحة والنوم، حمد ربه وأسلم إليه أمره، مبتهلاً بالدعاء: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» (متفق عليه).

وهكذا يرتبط المسلم روحياً بربه في أمسه ويومه وغده، وينتقل بالحياة من حوله إلى حول وقوة ربه، حتى إذا ما سافر استعاذ من «سوء المنقلب في المال» (رواه مسلم)، وإذا ما عُرض عليه مال كان قوله لمن يصنع فيه ذاك المعروف: «بارك الله لك في أهلك ومالك» (رواه البخاري)، وإذ شغله دَين يرجو رفعه وقضاءه كان قوله: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك» (رواه الترمذي)، «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال» (رواه البخاري)، وإذا ما أكرمه الله بسداد دينه كان قوله لمن صنع فيه هذا المعروف: «بارك الله لك في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الوفاء والحمد» (رواه ابن ماجة).

وإذا أصابه سنة في رزقه كان قوله: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا» (رواه البخاري)، «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل» (رواه الترمذي)، «بسم الله على نفسي ومالي وديني، اللهم ردني بقضائك، وبارك لي فيما قدر، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت» (رواه البيهقي)، «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إن شئت سهلاً» (رواه ابن حبان)؛ فييسر الله أمره ويوسع له في رزقه.

وبذلك يعي المسلم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (126)﴾ (طه)، وقوله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (رواه البخاري).

وبذلك يوازن المسلم بين مقتضيات الحياة في الأرض؛ من عمل وكد ونشاط وكسب، ومقتضيات العبادة لله عز وجل بالذكر الاقتصادي، وأداء ما افترضه الله عليه من الفرائض، والحرص على أداء النوافل؛ فيحيا قلبه، وتتحقق له المقدرة على الاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى التي اختص الله عباده بها. ■

الإجابة للدكتور عجيل النشمي

تمديد الكفالة

● ما حكم تمديد مدة كفالة جهاز من سنة إلى سنتين أو ثلاث بعد إضافة مبلغ معين لقيمة الجهاز؟

– إذا تم الشراء ابتداء بمبلغ كامل شامل الكفالة ومدتها بأن يقول الجهاز مع الكفالة مدة كذا؛ أي كفالة المورد أو كفالة المصنع، فهذا العقد صحيح؛ لأنك تشتري الجهاز أو السيارة بقيمتها الشاملة للتأمين، وهذا بخلاف ما لو قال البائع: نزيد لك بالمدة بمبلغ كذا، فهذه كفالة لاحقة، وفيها غرر وجهالة، فلا تجوز.

كريمات البشرة والصلاة

● توجد كريمات للبشرة مذكور في محتوياتها مواد يدخل في تركيبها الكحول، هل تصح الصلاة والوضوء بوجود هذه الكريمات على البشرة؟

– الكحول في هذه الكريمات مندمج ومستهلك فيها، ليس له وجود ملموس أو مشموم، فقد دخل وذاب كيميائياً، وإذا كان كذلك فلا أثر له في الحرمة، فتجوز الصلاة به ما لم تضعه المرأة قبل الوضوء، ويكون مادة لها جرم؛ أي كتلة وطبقة تحول دون وصول الماء، فلا يصح الوضوء، ويجب إزالته ثم الوضوء والصلاة.

ترقيق الحاجبين

● هل حكم من ترقق حاجبيها وتغير شكلهما كحكم من تهذبهما بدون ترقيق أو تغيير للشكل؟

– الترقيق هو النمص المحرم، ويجوز التهذيب بالقص إذا كان شكلهما غير مريح ويلفت الأنظار أو يحرجها في المجالس النسائية، فتقص ما زاد عن بقية الشعر ليبدو طبيعياً.

الأطفال بالصف الأول بالمسجد

● اختلفنا في وجود الأطفال في الصف الأول بالمسجد، وآباؤهم لا يرضون برجوعهم إلى الصف الثاني ما داموا قد سبقوا الكبار، فما الحكم في هذا؟

– إذا حضر مع الإمام رجل وصبي صفا خلفه، وإذا كان معهم امرأة صفت خلفهما، وإذا اجتمع عدد من الرجال والصبيان صغاراً، أو مراهقين، وقف الرجال في صف أو صفوف، ثم الصبيان بعدهم، ثم النساء، وذلك لحديث ابن مسعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (رواه مسلم 323/1).

الزكاة لمشروع حفظ القرآن

● هل يجوز دفع الزكاة لمشروع حفظ كتاب الله، وذلك بإعانتهم وتعليمهم وتحفيزهم لأن أسر هؤلاء الحفظة فقراء؟

– يجوز دفع الزكاة لمشروع تحفيظ القرآن الكريم في الدول غير الإسلامية أو الدول التي يكون المسلمون فيها أقلية، أو الدول التي أغلب أهلها مسلمون ولكنها دول علمانية تحارب الإسلام وأهله، أو الدول الإسلامية التي لا توجد فيها جهات رسمية تعنى بالإسلام، وتحفيظ كتاب الله وحماية أهله من التيارات المعادية، أما البلاد الإسلامية التي توجد فيها وزارات أو نحوها معنية بالدعوة وتحفيظ كتاب الله ونشر العلم الشرعي، فهذه لا تدفع فيها الزكاة للمشروع المذكور.

آدم أول البشر

● هل هناك دليل على أن آدم عليه السلام هو أول البشر؟

– الدليل: يقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (البقرة: 30)، والخليفة هو من يخلف من سبقه، قالت التفاسير: إن المقصود هم الجن؛ لأنهم سكنوا الأرض قبل آدم، ولكن الله سبحانه حدد قوله تعالى بأنه خليفة بشر، والبشر يخلف البشر، ورأت الملائكة ما عمل البشر، فقالت: أتجعل فيها... ويمكن القول: إن الله سبحانه وتعالى يقول: (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (البقرة: 36)، فهذا دليل على أن الجن الذين منهم إبليس كانوا في الجنة مع آدم، كما يمكن القول: قوله تعالى: (اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً) (البقرة: 38)؛ أي أن آدم وحواء وإبليس وذريته كانوا في الجنة، فأمرهم الله بالهبوط والخروج منها، ولكن ابن كثير يرى أن الخليفة أي يخلف بعضكم بعضاً (أي أن البشر يخلفون بعضهم بعضاً)، والله أعلم.

انكشاف ظهر المصلي

● بعض المصلين إذا سجد ظهر جزء من ظهره لانحسار قميصه عن وسطه، فهل هذا صلاته صحيحة أم باطلة؟

– الفقهاء مختلفون في هذا، فجمهور الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية على بطلان الصلاة إذا انكشف عورة المصلي ولم يسترها في الحال، ولهم تفصيل في ذلك، لكن نميل إلى ما قاله الحنابلة بعدم بطلان الصلاة إذا انكشف منها شيء يسير دون قصد، لما استندوا إليه من دليل؛ وهو حديث عمرو بن سلمة الجرمي قال: انطلق أبي وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قومه، فعلمهم الصلاة، فقال: «يؤمكم أقرؤكم»، وكنت أقرأهم لما كنت أحفظ ، فقدموني أؤمهم وعليَّ بردة لي صغيرة صفراء، فكنت إذا سجدت انكشفت عني، فقالت امرأة من النساء: واروا عنا عورة قارئكم، فاشتروا لي قميصاً عمانياً، فما فرحت بشيء بعد الإسلام فرحي به. (فتح الباري 22/8)، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ولم يبطلوا صلاة عمرو، لكن مع هذا ينبغي أن يحرص المصلي على ستر محل العورة، ولا يتكرر منه ذلك دائماً.■

فقه التيسير في الشريعة الإسلامية
تأصيلاً.. وتطبيقاً

عرض: سلمان العماري

يمثل كتاب «فقه التيسير في الشريعة الإسلامية» للدكتور عبدالرقيب صالح الشامي قيمة علمية ونقلة نوعية في تقريب مفاهيم وقواعد وأصول فقه التيسير في الشريعة الإسلامية، بلغة سهلة بسيطة وميسرة يفهمها الجمهور العام من المسلمين، المتخصص منهم وغير المتخصص، وتكمن أهميته وقيمته العلمية في الجانب التأصيلي للقاعدة الشرعية الأصولية الكبرى، عن طريق جمع واستقراء النصوص والأدلة الصريحة والمباشرة، بالإضافة إلى الجانب التأصيلي من الموروث الفقهي والأصولي والمقاصدي، كما يضم الكتاب جملة من العلوم، التي تشرح القاعدة في منحى ومسلك أصولي مقاصدي فقهي.

وتكتسب الدراسة أهمية مثلى في ظّل التراجع العلمي والجمود الفقهي بالأمة في عصرنا، وما تعاني من ظاهرتي الإفراط والتفريط بالتشدّد والتساهل، وفي وضع تواجه الشريعة الإسلامية هجمة شرسة واستهدافاً من قبل الأعداء والخصوم.

وتكتسب الدراسة أهمية من حيث المحتوى العملي والتطبيقي، في أهم جوانب الشريعة الإسلامية؛ وهي العبادات التي يحتاج المسلم إلى فهمها ودرايتها بصورة مرتبة في الجانب العام والخاص.

الفكرة والمنهج:

تدور الفكرة الرئيسة للكتاب في دراسة وبيان أصل كلي ومقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، هو فقه التيسير في الحالتين الاختيارية والاضطرارية، وتفصيل ذلك، وتأصيله وبيان مستنداته وقواعده وصوره وأمثلته في الجانب النظري والتطبيق العملي على السواء.

واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي من خلال تتبع نصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية وأفعال الصحابة والتابعين، والقواعد والأصول الضابطة، ومحاولة قراءة أنواعها وصورها وتحليلها للوصول إلى استنتاجات تحقق مقصود القاعدة.

والمتأمل في نصوص الفقه الإسلامي ومقاصد الشريعة الإسلامية يجد أن التيسير يعد أحد المبادئ الكبرى التي قامت عليها شريعتنا الغرّاء؛ فالشريعة يُسْر كلها، لا عُسر فيها بوجه من الوجوه، ولم يرد وصفها بالمشقة أو العسر، ولا بالتوسُّط بين اليُسر والشدة.

ولّما كانت الشريعة الإسلامية آخر شريعة سماوية، كان لا بد أن تكون مميزة بخصائص ومميزات تجعلها قابلة للثبات والاستمرار، ومواكِبة لحياة الإنسان مهما كان، وفي أي عصر ومكان كان.

ومن أهم هذه المميزات «رفع الحرج عن المكلّفين والتيسير عليهم»، وهي ميزة ميّزت شريعتنا عن غيرها من الشرائع الأخرى السابقة التي ضمّنها الله عز وجل من الأعمال الشاقة ما يتناسب وأحوال وأوضاع تلك الأمم التي جاءت لها تلك الشرائع.

التيسير المنضبط

ويعد موضوع الدراسة من المواضيع المهمة والحيوية التي يجب أن تبرز في كل عصر، وفي عصرنا الحاضر بصورة أشد، والأمر يتعلق هنا بإحياء وبث روح الشريعة الإسلامية بصورة تستدعي من عموم المسلمين وخاصتهم، التبشير بمحاسنها وإظهارها حتى يقبل الناس عليها أفواجاً ويعملوا بها؛ لأن من غير الممكن أن يقبل الناس أمراً فيه شدة وحرج ومشقة.

وقد جاءت هذه الدراسة -كما يقول الباحث- لكسر حدّة ما انتشر من بعض الأفكار والتصورات الخاطئة، المتسمة بالتشدد والتطرف والغلو الذي قتل روح الشريعة الإسلامية في المسلمين قبل غيرهم، كما تسد حاجة مُلحة للمسلم المعاصر، وتعالج مشكلة أسلوبية في تبسيط مفاهيم وأصول وقواعد التيسير في الشريعة الإسلامية، بعيداً عن ذلك المنحى والتوجه التخصصي الذي درج عليه علماء الأصول والفقه والمقاصد في دور ومراكز التعليم، التي لا تتناسب مع جمهور الأمة وعامتهم.

ولأن التيسير قد يستخدم في غير مقصوده؛ فقد عمل الباحث على تقييده بـ«الفقه»، وذلك بأن يكون الأمر على مراد الشارع وليس أهواء الناس وأمزجتهم.■

> **يكتسب أهمية مثلى في ظل التراجع العلمي والجمود الفقهي وانتشار ظاهرتي الإفراط والتفريط**

> **خلاصة دراسة بحثية متقنة ويلامس حاجة الكثير من الناس والمجتمع**

د. عبدالرقيب صالح الشامي في سطور

● من طليعة الباحثين الشرعيين القلائل الذين برعوا في تقديم وتبسيط علوم الشريعة وفق قواعد الأصول والمقاصد بلغة سهلة بسيطة وميسرة.

● صدرت له العديد من الكتب والمؤلفات، والدراسات والأبحاث المطبوعة، يأتي في صدارتها: «القواعد الأصولية عند الإمام مالك من خلال المدونة الكبرى»، و«الحكم الشرعي بين النظرية والتطبيق.. دراسة أصولية على ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية»، وكتاب «فقه الدين والتدين»، و«فقه مراتب الأعمال».■

كيف تغرس القناعة والرضا لدى طفلك؟

سيل هادر من المطالب التي لا تتوقف.. عدم الإحساس بما يتمتع به من نِعَم لا تُعد ولا تُحصى.. مد العين إلى ما متع الله به الآخرين من زهرة الحياة الدنيا.. رغبة جامحة في تملك كل شيء.. شعور دائم بالسخط وعدم الرضا.

هذه بعض المظاهر التي تشير إلى عدم اكتمال قيمة الرضا والقناعة لدى الأولاد، التي ينبغي ألا يغفل الآباء عن بذل الجهد في غرسها لديهم منذ نعومة أظفارهم؛ فالرضا والقناعة مثلها مثل غيرها من القيم لا يولد الإنسان مزوداً بها، لكنه يتعلمها ويكتسبها من خلال عملية اجتماعية تربوية، تعتمد على التفاعل بين الفرد وأسرته ومجتمعه، ويقع العبء الأكبر في غرسها على الآباء.

وفي السطور التالية، نقترح بعض الإجراءات التي نرجو أن تسهم في بناء قيمة الرضا والقناعة لدى الأولاد.

ياسر محمود

متخصص في الشؤون التربوية والأسرية

مناخ داعم

1 - بيت قانع:

احرص على توفير مناخ داخل البيت يسود فيه الرضا والقناعة وكلمات الشكر والحمد على كل صغيرة وكبيرة، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الآخرين؛ فحينما يعيش الطفل في هذا المناخ؛ يتعلم منه الرضا والقناعة بشكل تلقائي.

2 - قدوة عملية:

كن مثالاً حياً يتعلم منه طفلك الرضا والقناعة، فليس من المعقول أن تكون كثير الشكوى دائم السخط على حالك، وتطلب منه أن يكون قنوعاً.

3 - تعزيز الثقة بالنفس:

احرص على تعزيز ثقته بنفسه؛ فكلما تمتع الطفل بمفهوم جيد نحو ذاته وقدراته؛ كان راضياً عن نفسه وعن حاله، وكلما قل هذا التقدير؛ شعر بعدم الرضا نحو ذاته وما يمتلكه.

4 - تجنب التدليل أو التقتير:

تجنب التدليل الزائد في تنشئته؛ لأن

القناعة مثل غيرها من القيم لا يولد الإنسان مزوداً بها لكنه يكتسبها بالتربية الاجتماعية

أشركه في مساعدة المحتاجين وإيصال المساعدات إليهم فهذا يساعده على تقدير ما به من نعم

الاستجابة لكل ما يريده طفلك يخلق منه شخصاً يسعى للحصول على كل شيء، ويطمح إلى ما يمتلكه الآخرون، وهذا يجعله دائم الشعور بالسخط وعدم الرضا رغم كل ما يقدم له.

وكذلك ابتعد عن التقتير والحرمان في تلبية احتياجاته؛ لأن ذلك يولد رغبة شديدة لدى الطفل المحروم بالحصول على العديد من الأشياء، سواء كانت له حاجة بها أو لا؛ وذلك لشعوره بعدم الاكتفاء، كما أنه يظل متطلعاً لما في يد الآخرين وهو محروم منه.

واحرص على التزام التوسط والاعتدال في تلبية رغباته واحتياجاته.

5 - ضبط ردود الأفعال:

تجنب بعض السلوكيات أو ردود الأفعال التي ربما تعزز عدم الرضا لدى طفلك دون أن تشعر؛ كأن تقول له، حين يخبرك أن صديقه عنده لعبة أجمل من لعبته: سأشتري لك أفضل منها، أو أن تعقد مقارنات بين أحوالك وأحوال غيرك ممن وسع الله لهم في الرزق، أو تقارن طفلك بغيره.

تشكيل الوعي

1 - فضل القناعة:

تحدث مع طفلك بين الحين والآخر عن فضل ومكانة القناعة والرضا عند الله تعالى بما يناسب عمره وقدرته على الاستيعاب، ومن هذه الفضائل أنها طريق للسعادة والفلاح، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّه بِمَا آتَاهُ» (رواه مسلم).

2 - تنوع صور الرزق:

وضّح له أن الرزق ليس ما يمتلكه الإنسان من المال فقط، ولكنه قد يكون في الصحة والعافية، أو العقل والحكمة، أو العلم، أو محبة الناس، أو راحة البال، أو حسن الكلام.. إلخ.

3 - عدم النظر لما في يد غيره:

علّمه عدم النظر لما في يد غيره، وأخبره أن أحداً لن يستطيع أن يمتلك كل شيء، لكن بعض الناس يمتلكون أشياء، وآخرين يمتلكون أشياء أخرى.. وهكذا.

4 - الإحساس باحتياجات الآخرين:

الفت انتباهه إلى احتياجات الآخرين، وعلّمه كيف يفكر ويهتم بهم، فمثلاً عندما يطلب نوعاً من الحلوى فقل له: «إنني أعلم أن صديقك فلاناً أو ابن الجيران أو ابن الحارس يحب هذه الحلوى أيضاً، فما رأيك أن ندعوه ليشاركنا فيها أو نعطيه جزءاً منها؟».

إجراءات عملية

1 - التأمل في نعم الله:

اجتهد في تعليم طفلك التفكر والتأمل فيما رزقه الله من نعم، ويساعدك على ذلك:

- إبراز نعم الله تعالى الكثيرة التي يتمتع بها، مثل: البصر، السمع، الكلام، الشم، التذوق، الصحة، القدرة على الحركة، العقل، النوم، السكن، الطعام والشراب، التنفس، الملابس، الإحساس بالأمن.. إلخ، وذلك بطريقة تناسب عمره وقدراته.

- اطلب منه في نهاية كل يوم أو كل أسبوع أن يكتب بعضاً من الأشياء والأمور التي شعر أنها نعمة من الله.

2 - شكر النعم:

عوّد طفلك على شكر نعم الله تعالى عليه، وذلك بتشجيعه على قول: «الحمد لله» بعد كل طعام أو شراب، أو عند شراء ملابس، أو لعبة جديدة، أو عند النجاح، أو غير ذلك من المواقف، وكذلك علّمه أن يشكر هذه النعم بطريقة عملية؛ فمثلاً يشكر نعمة الصحة بالبعد عن كل ما يضرها، وباستخدامها في تقديم العون لكل من حوله.. وهكذا.

3 - شكر الآخرين:

شجعه على شكر كل من قدَّم له معروفاً مهما كان بسيطاً، وذلك بأن تشكره أنت على كل فعل طيب ولو كان بسيطاً، ثم تطلب منه أن يفعل الشيء نفسه معك ومع إخوته وغيرهم.

4 - زيارة أصحاب الابتلاءات:

اصطحبه في زيارة لدور الأيتام، أو مدارس المكفوفين، أو المستشفيات، أو المحتاجين؛ فهذا يعمق إحساسه بنعم الله عليه، وافتح حواراً معه حول ذلك، مع مراعاة تناسب المكان الذي تزوره مع عمر الطفل وطبيعة شخصيته.

ابتعد عن التقتير والحرمان لأن ذلك يولد رغبة شديدة لديه بالحصول على العديد من الأشياء

اطلب منه أن يكتب بعضاً من الأشياء التي شعر أنها نعمة من الله

5 - إشراكه في أعمال المنزل:

أشركه في القيام ببعض الأعمال المنزلية المناسبة له (ترتيب سريره، المشاركة في تجهيز مائدة الطعام، المساعدة في غسل السجاد.. ونحوها من أعمال المنزل التي يمكنه القيام بها)؛ فهذا يساعده على تفهم الجهد والمشقة والوقت الذي تتطلبه هذه الأعمال، ويساعده على القناعة بما يُقدَّم له من جهد.

6 - إطلاعه على ميزانية البيت:

أطلعه أو أشركه -بحسب عمره وإمكاناته- في وضع ميزانية الأسرة، التي تشمل المصروفات المعيشية بشكل اعتيادي، ووضّح حقيقة الوضع المالي للأسرة؛ لإشعاره بالمسؤولية وتدريبه على ترتيب الأولويات.

7 - مشاركة في الخير:

أشركه -ولو بجزء بسيط من ماله أو أدواته أو ملابسه أو غير ذلك- في مساعدة المحتاجين، وفي إيصال هذه المساعدات إليهم، فهذا يساعده على تقدير ما يتمتع به من نِعَم.

8 - تحمل الضغوط:

درّبه على تحمل بعض الضغوط البسيطة التي تتناسب مع عمره، مثل تأجيل الاستجابة لمطلب يلح عليه لتعليمه الصبر وتحمل الانتظار، أو إخباره أن عليه إنجاز عمل معين لتحقيق هذا المطلب، فهذا التدريب يغرس فيه القدرة على التحمل والمثابرة بشكل عام، وبالتالي سينمي لديه قيمة الرضا والقناعة.

9 - مواقف الحياة:

استثمر مواقف الحياة التي يشاركك طفلك إياها في غرس الرضا والقناعة لديه، فإذا كنتم مثلاً في الطريق ورأيتم شخصاً فقيراً أو مريضاً أو مكفوفاً.. إلخ، فتكلم معه بطريقة مناسبة له عن فضل الله علينا وما نتمتع به من نعم ربما لا يجدها الآخرون، وأن من واجبنا -ومن باب شكر هذه النعم- أن نساعد هؤلاء وندعمهم لنخفف عنهم آلامهم.

10 - القصص والحكايات:

احكِ له بعض القصص والحكايات التي تتحدث عن الرضا والقناعة، مثل: الصياد القنوع، العامل الفقير، البيضة الذهبية، السلحفاة والطيور، الأم القنوعة.. وغيرها من القصص التي يمكن الحصول عليها عبر شبكة الإنترنت.

11 - ممارسة الأدوار:

مما يساعد على غرس هذه القيمة في نفسه، أن يشارك في تمثيل بعض المشاهد التمثيلية والمسرحيات القصيرة التي تدور حول القناعة، وأن يُسند إليه دور القنوع الراضي، ويمكن أن تنفذ هذه المشاهد بمشاركة أفراد الأسرة أو أقرانه، كما يمكن استخدام العرائس في ذلك.

12 - مقاطع الفيديو:

شاهد معه بعض مقاطع الفيديو التي تدعم قيمة القناعة، وافتح معه نقاشاً حول ما جاء بها.

13 - تعزيز إيجابي:

ترصّد أي سلوك يصدر منه -مهما كان قليلاً- يعبر عن القناعة، وامتدحه وأثنِ عليه، فهذا يعزز هذه القيمة لديه ويعمقها في نفسه. ■

الأخيرة

بقلم: د. عصام عبداللطيف الفليج

تقسيم المقسم

اهتمت الصهيونية العالمية بتوحيد الجهود الدولية لإسقاط الخلافة الإسلامية، تمهيداً لتفتيت دول العالم الإسلامي، وذلك عندما رأت استحالة قدرتها بذلك وحدها، أو دولة ما منفردة، فقد كان العالم الأوروبي في أوج انتصاراته في حروبه الخارجية، واستطاعت عدة دول مثل بريطانيا وفرنسا والبرتغال وهولندا وإسبانيا وروسيا وغيرها احتلال عشرات الدول الأفريقية والآسيوية وأمريكا الجنوبية منذ عدة قرون، واختلفت في أسلوب الاحتلال من إبادة واستعباد وفرض الدين المسيحي ولغة المحتل، وبين ترك البلاد للعباد والإدارة عن بعد.

كما انتشرت البعثات التنصيرية والمستشرقون، واستطاعت أن تتوغل في البلاد الإسلامية، وتخترق القيادات السياسية والدينية والفكرية، وكوّنت قاعدة بيانات لتنطلق بعدها لتفتيت تلك الدول بأساليب عدة، ومن خلال رموزهم الوطنية.

وبدل أن تقوم الصهيونية بهذه الأدوار، فقد أوكلتها لتلك الدول الكبرى، لأن الصهيونية لا دولة لها ولا كيان، فكان «وعد بلفور» (وعد من لا يملك لمن لا يستحق)، وخيانة الشريف حسين مع «لورانس»، وغرس مبادئ القومية العربية في مصر وبلاد الشام بغلو غير طبيعي، واتفاقية «سايكس بيكو»، حتى إذا تهيأت الأجواء؛ أسقطت الخلافة العثمانية، وتشرذمت الأمة الإسلامية.

ولتدعيم التفتيت، أُنشئت جامعة الدول العربية؛ لترسيخ القومية العربية، ونسيان الخلافة الإسلامية، ونادى العلماء بإنشاء جامعة للدول الإسلامية دون مجيب، وكان البديل «منظمة التعاون الإسلامي».

وتم احتلال فلسطين، وحرق المسجد الأقصى، وتأسيس حزب البعث (ميشيل)، والأحزاب الشيوعية والاشتراكية من منطلقات عروبية، ونشر العلمانية والليبرالية؛ لتتشرذم القومية العربية بذاتها أكثر وأكثر.

هل اكتفوا بذلك؟ لا.. فهم يخططون ونحن ننفذ.

فقد تم إسقاط الملكيات السابقة باسم الثورات العربية، وكلها بتنسيق العسكر (المنقلبين) مع أوروبا ثم أمريكا، وأسقطت هيبة الأزهر، وأضعفت مؤسسات الدعوة في العالم الإسلامي، وانتشر الجهل، وأُنشئت ديانات جديدة (الأحمدية أو القاديانية)، ودعم العلوية.

وكان الاتجاه التالي نحو تأسيس تيارات إسلامية جديدة، لمواجهة القومية والليبرالية والعلمانية، وضربوا الإخوان بالسلفية، والسُنة بالشيعة، والعرب بالأكراد والأمازيغ، وطالبان بالمجاهدين الأفغان، وظهور القاعدة وداعش والجامية، وتغير مصطلح العالم العربي إلى الشرق الأوسط.. والحبل على الجرار.

لم تتوقف الآلة الغربية التي تعمل بالوكالة عن الصهيونية العالمية، فتم إسقاط الشاه، واحتلال العراق للكويت، والسيطرة على العراق سياسياً، وأعلنت انطلاق «الفوضى الخلاقة» التي عصفت بالعالم العربي، ثم «خارطة الشرق الأوسط الجديد»، وحروب «الوكالة» في الشام واليمن وليبيا.

وبدأ ما يسمى «تقسيم المقسم»، فبعد تقسيم «سايكس بيكو»، بدأ فصل جنوب السودان بقرار أممي، ودعم غربي، في حين أن قضية كشمير ظلت معلقة إلى الآن، ودارفور بالانتظار، والحبل على الجرار.

لقد وصلت مرحلة الانقسامات إلى العنق، وأي انقسام قادم سيكون إلى الأسوأ، لأنه سيكون ذا قاعدة قومية عرقية قبلية دينية مذهبية، تلك الأمور التي يلعب على أوتارها الاحتلال البارد، ويطبقها بنو جلدتنا بالوكالة بكل فخر، متناسين مصير الشريف حسين الأخير!

نحتاج إلى وقفة تأمل لدراسة كيفية الخروج من هذا المأزق الكبير الذي نشترك بتنفيذه، حتى لا يكون مصيرنا كدويلات الأندلس، وحينها لا ينفع الندم.■